شرح رسالة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فالرسالة التي سنقرؤها -إن شاء الله - كما هو معروف للجميع: رسالة الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأوله على غير تأويله .

الرسالة لإمام السنة أحمد بن حنبل ، وإمام أهل السنة -كما هو معروف - امتحن بهؤلاء الزنادقة والجهمية ، وقف لهم المواقف المشهودة ، وصمد أمامهم ، ثبت أمام الحق حتى نصر الله به الحق وأهله ، وقمع به أهل البدع .

فهو إمام أهل السنة ، يقتدي بهم -رحمه الله - صبر يوم المحنة ، كما ابتلي بمسألة القول بخلق القرآن ، ووقف وصبر على الحق ثابتًا صامدًا صمود الجبل لا يلين إلى أهل البدع ، حتى قال العلماء: إن أبا بكر الصديق ﷺ صبر يوم الردة، وإن الإمام أحمد بن حنبل صبر يوم المحنة .

وهذه الرسالة -وهي رسالة الرد على الزنادقة والجهمية- رسالة عظيمة ، افتتحها المؤلف بخطبة عظيمة ما زال العلماء يقتبسون منها وينقلونها في كتبهم ، كالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - وهذه الرسالة ثابتة للإمام ، وأنه كتبها -رحمه الله ورضي عنه .

لكن بعض أهل البدع في القديم والحديث يشككون في نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد ، وما ذاك إلا لزيغ في قلوبهم ؛ لأنهم يريدون ألا تثبت هذه الرسالة حتى يثبت باطلهم ؛ لأن هذه الرسالة شهب مرمية عليهم، على أهل البدع ، فلا يريدون أن تثبت هذه الرسالة حتى يبقى باطلهم وضلالهم وزيغهم ؛ فلهذا يشككون في نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله.

والرسالة ثابتة ، أثبتها العلماء والأئمة ونسبوها إلى الإمام، نسبها القاضي أبو يعلى ، وهو من علماء الحنابلة ، وقال: إن الخلال أثبتها ، وكذلك الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وحسبك به.

أثبت هذه الرسالة الإمام في مواضع من كتبه المتعددة، في رسالة "بيان تلبيس الجهمية" وفي تفسير ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ وفي غيرها من كتبه المتعددة ، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – نقل أكثرها في كتبه ، ولا سيما في "بيان تلبيس الجهمية". نقل هذه الرسالة كلها ، ونثرها في كتبه وعلق عليها، نقل أغلبها أكثر نصوصها ، ونقل الخطبة أيضًا ، وكذلك العلامة ابن القيم أثبتها في كتابه "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية". وغيرهم من أهل العلم .

والرسالة طُبعت طبعات ، لكن في ظني أن أحسن الطبعات التي طبعت الطبعة التي حققها فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري –رحمة الله عليه– ، فإنه قابلها... وجد مخطوطة لهذه الرسالة مع مطبوعتين ، وقابلها ، وقدم بمقدمة أثبت فيها أن هذه الرسالة للإمام أحمد ، وبين فيها بيانًا واضحًا .

نقل فيها نقول عن الأئمة: القاضي أبي يعلى ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم أن هذه الرسالة للإمام أحمد، فيستحسن أن نقرأ هذه المقدمة التي ثبتت هذه الرسالة للإمام أحمد، حتى لا يكون هناك مجال للشك ؛ لأن هناك الجهمية والمعتزلة موجودون في كل مكان ، هناك جهمية في هذا الزمان ومعتزلة وأشاعرة يشككون في نسبة هذه الرسالة للإمام أحمد .

ولا نزال نسمع أن كثيرًا من الرسائل ... كثيرًا من كتب أهل السنة لا يزال بعض الناس يشكك فيها ، نسمع أن رسالة فلان من الأئمة لم تثبت إليه ، وكذا وفلان وفلان ؛ وهذا لأنهم لا يريدون أن تثبت هذه الكتب التي فيها رد لباطلهم .

نقرأ.

الجهم وأتباعه دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن الحديث فضلوا وأضلوا

قال الإمام أحمد -رحمه الله- وكان جهم وشيعته دَعَوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث ، فضلوا وأضلوا بكلامهم معشرًا كثيرًا ، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان .

الجهم عدو الله لفظ الجلالة ترقق إذا كان قبلها جر ، و"عدو" أمر الجهم عدو صفة، صفة لجهم، من أمر الجهم عدو الله. نعم.

فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان ، من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ، وكان أكثر كلامه في الله .

يعني يقول الإمام أحمد -رحمه الله- إن الجهم الذي تنتسب إليه الجهمية ، وهم الذين نفوا الصفات عن الله ﷻ وشبهوا على الناس دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث ؛ من أجل أن يضلوا فضلوا بأنفسهم وأضلوا ، ضلوا يعني بأنفسهم ، وأضلوا يعني أضلوا غيرهم ، فضلوا وأضلوا بكلامهم معشرًا كثيرًا.

هذا الجهم وشيعته وأتباعه الذين نفوا الصفات عن الله ﷻ وأنكروا وقالوا بالجبر والإرجاع ، هؤلاء هذا أصل أمر يقول الإمام أحمد: إنهم دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن ومن الحديث فضلوا وأضلوا ، يأتون بالمتشابه حتى يضلوا به أنفسهم ، ويضلوا به الناس.

وكان الجهم هذا يقول: يقول الإمام أحمد -رحمه الله-: "إنه من أهل خراسان ، ومن أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام وجدل ، وكان أكثر كلامه في الله -عز وجل-" في أسمائه وصفاته فلقي أناسا من الكفار. نعم.

لقاء الجهم والسمنية

فلقي أناسا من الكفار يقال لهم: السُمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك ، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلهًا ؟ فقال الجهمي: نعم. فقالوا له: هل رأيت عين إلهك ؟ قال: لا . قالوا: هل

سمعت كلامه ؟ قال: لا . قالوا: أشممت له رائحة ؟ قال: لا . قالوا: أفوجدت له مجسا؟ قال: لا . قالوا: أفوجدت له حسا ؟ ؟ قال: لا . قالوا: فما يدريك أنه إله ؟ قال: فتحير الجهم ، فلم يدر ما يعبد أربعين يوما.

الجهم يقول الإمام –رحمه الله–: إنه لقي أناسا من الكفار ، يقال لهم: السُّمنية، السمنية طائفة من الكفار في الهند ، لا يؤمنون إلا بالحسيات ، لا يؤمنون إلا بما يدرك بالمحسوسات ، المحسوسات الخمس اللي هي أيش ؟ السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، هذه الحواس الخمس ، واللي أيش ؟ هي أيش ؟ السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، هذه الحواس الخمس ، واللي أيش تدركه بالحواس الخمس هذا تثبته ، يثبتون واللي ما يدرك بالحواس الخمس ينفونه .

الشيء اللي تراه بعينك أو تسمعه بإذنك أو تشمه بأنفك ، أو تذوقه بلسانك ، أو تلمسه بيدك تجسه هذا تثبته ، وأما عدا ذلك فليس له وجود ، ما يؤمنون إلا بما أيش؟ يُدرَك بإحدى الحواس الخمس ، هؤلاء السُّمنية .

"لقي الجهم أناسا من الكفار يقال لهم: السُّمنية ، فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك" يعني قالوا للجهم: نحن لا نكلمك ، ولا تكلمنا هاتِ حجتك ، ونأتي بحجتنا ، ندلي بحجتنا ، فإن كانت حجتنا أقوى ادخل في ديننا ، وأتِ أنت بحجتك ، فإن كانت حجتك أقوى دخلنا في دينك .

فقالوا له: أنت ألست تزعم أن لك آلهًا ، تزعم أن لك ربا وإلها ؟ قال: نعم . قالوا: إلهك هذا الذي تزعم هل رأيته ؟ هل رأيت عين إلهك بعينك ؟ قال: لا . قالوا: هل سمعت كلامه بأذنك ؟ قال: لا .

هذه الحواس الخمس ، قالوا: وهل شممت له رائحة ؟ قال: لا . قالوا له: هل وجدت له مجسا؟ مجسا يعني: الجس باليد ، في الصحاح جسه بيده ، واجتسه أي: مسه ، والمجسة الموضع الذي يجسه الطبيب .

هل وجدت له مجسا ؟ يعني هل وجدت له مجسا بيدك ؟ قال: لا . قالوا: فهل وجدت له حسا ؟ المجس باليد ، وجسه بيده ، واجتسه أي مسه ، والمجسة الموضع الذي يجسه الطبيب. هاه، نعم الجس،

الجس باليد ، جسه واجتسه يعني: مسه . قالوا: أفوجدت له حسا؟ الحس يطلق على الحس ، والحسيس يطلق على الصوت الخفي .

وأصل الإحساس الإبصار ، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ ثم استعمل في الوجدان والعلم ، في أي حاسة كانت أفوجدت له حسا ؟ يعني هل وجدت له وجدانًا ؟ وعلمت وجوده بأي حاسة كانت من الحواس الخمس ؟ قال: لا . قالوا: فما يدريك أنه إله ؟ إذن معدوم ما لك ، ما عندك إله؛ لأنك لا تدركه بحاسة من الحواس الخمس ، لم تره بعينك ، ولم تسمعه بأذنك ، ولم تشمه بأنفك ، ولم تجد له مجسًا بيدك ، ولم تجد له حسًا ووجدانًا ، بأي حاسة من الحواس ، إذن معدوم ، قالوا: فما يدريك أنه إله . قال: فتحير الجهم فلم يدرِ من يعبد أربعين يوما ، ترك الصلاة لفظها ترك الصلاة أربعين يومًا ، تحير ما يدري حيروه أهل السمنية فتحير ، فلم يدر من يعبد ، فترك الصلاة أربعين يومًا. نسأل الله السلامة والعافية . ثم بعد ذلك استدرك نعم.

ضلال الجهم في رده على السمنية

ثم إنه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ، وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء وينهى عما شاء ، وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة ، فقال للسُّمني: ألست تزعم أن فيك روحًا ؟ قال: نعم . فقال: فهل رأيت روحك ؟ قال: لا . قال: أفسمعت كلامه ؟ قال: لا . قال: أفوجدت له حسًا أو مجسا ؟ قال: لا . قال: فكذلك الله لا يُرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه.

يقول الإمام –رحمه الله–: "ثم إن الجهم استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى".

زنادقة النصارى ، الزنديق ، والمنافق قد يكون المنافق من النصارى، قد يكون من المسلمين ، ينتسب إلى الإسلام وهو زنديق ، وقد ينتسب إلى النصارى ، فإن بولس زنديق ، ودخل في دين النصارى ليفسد دين النصارى ، كذلك عبد الله بن سبأ اليهودي الحميري في زمن عثمان بن عفان ﷺ دخل في الإسلام نفاقا ، منافق ، يهودي منافق خبيث ، دخل في الإسلام نفاقا ؛ ليفسد دين الإسلام .

كما أن بولس دخل في دين النصارى نفاقًا ؛ ليفسد دين النصارى ، فالزنديق قد يكون من النصارى ، منافق ليفسد دين النصارى ، وقد يكون من المسلمين ليفسد دين المسلمين .

عبد الله بن سبأ اليهودي دخل في الإسلام نفاقًا ، أظهر الإسلام وأبطن الكفر وهو يهودي ليفسد دين الإسلام ، وسعى في الفتنة حتى تمكن من قتل عثمان ﷺ الخليفة الراشد.

وهذا بولس كذلك دخل في دين النصارى فأفسده ، فالجهم استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى ؛ وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله ، من ذات الله ، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء ، وينهى عما يشاء ، وهو روح غائب من الأبصار.

زنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله ، من ذات الله ، يزعمون أن عيسى جزء من الله –والعياذ بالله– هكذا يزعم النصارى ، يقولون: إن عيسى كلمة الله ، هو نفس الكلمة جزء من الكلمة ، هو جزء من الكلمة ، ويكون جزءا من الله ، وهذا من أبطل الباطل .

والصواب أن عيسى ليس هو الكلمة بل هو مخلوق بكلمة ، عيسى ليس هو الكلمة ، بل هو مخلوق بكلمة ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ فعيسى ليس هو الكلمة ، بل هو مخلوق بالكلمة ، واضح هذا؟ قال الله له: كن فكان.

النصارى يقولون: عيسى نفس الكلمة ، كلام الله يعني كلام الله صفة من صفاته ، فجعلوا عيسى نفس الكلمة ، يعني جزءا من الله -نعوذ بالله- فزنادقة النصارى يزعمون أن الروح الذي في عيسى هو روح الله ، من ذات الله يعني جزءا من الله ، فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه ، هذا الروح الذي جزء من الله ، فتكلم على لسان خلقه ، فيأمر بما شاء وينهى عما شاء ، وهو روح غائب عن الأبصار.

الجهم استدرك مثل هذه الحجة ، فقال للسمني الذي جاء بالحسيات: ألست تزعم أن فيك روحًا أيها السمني ؟ قال: نعم . قال: هل رأيت روحك ؟ قال: لا . قال: أفسمعت كلامه -كلام الروح-؟ قال: لا . قال: أفوجدت له حسا أو مجسا ؟ قال: لا . قال: فكذلك الله لا يُرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان .

كما أنك الآن فيك روح ولا تراه ولا تدركه بإحدى الحواس الخمس ، فكذلك الله لا يدرك بإحدى الحواس الخمس ، فقال: كذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان ، يعني يكون في جميع الأمكنة ، هذا القول يعني قول بالحلول ، هذا قول بالحلول ، يعني أنه حالٌّ في كل مكان ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ ووجد ثلاث آيات في القرآن. نعم.

الآيات التي بنى عليها الجهمي أصل كلامه

ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابهة قوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ وقوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ وزعم أن من

وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه ، أو حدث عن رسوله كان كافرًا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرًا كثيرًا ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية .

إذن الجهم وجد ثلاث آيات من القرآن من المتشابه ، وبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ هذه الآية الأولى ، أخذ بعض الآية ، وترك بعضها ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ تركها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ قال: إن الله لا يماثله شيء من الأشياء ، وسيأتي أن معنى هذه الكلمة من الآية: لا يمثله شيء من الأشياء ، معناها إنكار وجود الله.

قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ لا يشبهه شيء من الأشياء، والآية الثانية ، وهي قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ قال بالحلول إن الله في السماء وفي الأرض وفي كل مكان ، والآية الثالثة ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ يعني أنه لا يُرى ، لا يُرى.

إذن هو في كل مكان ، ولا يرى و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ فقوله: لا يرى هذا يريد أن يسد الباب عن رؤيته ، حتى لا يحاول أحد أو يطلب أو يسأل أحد رؤية الله ، والثانية ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ هذا ثبت به الحلول .

والثالث ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ أثبت بها أنه معدم ، كما سيأتي فبنى أصل كلامه على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله .

سيأتي الآن تفسير أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ ولا يشبهه شيء من الأشياء ، سيأتي في كلام الإمام –رحمه الله– فبنى أصل كلامه على هذه التأويلات ، وتأول القرآن على هذه الآيات ، وتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ .

وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرًا ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشرًا كثيرًا ، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ، ووضع دين الجهمية.

أما قوله: "تبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة" ليس المراد بأصحاب أبي حنيفة يعني أصحاب الإمام وتلاميذه ، وتلاميذ الإمام ، لا ليس المراد هذا ، وإنما المراد من أتباع المذهب ، من أتباع أبي حنيفة المراد: الحنفية جماعة من الحنفية ، وأما تلاميذ الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف فهؤلاء من العلماء ، ومن كبار العلماء ، لا يقولون بهذا ، وكذلك الإمام .

لكن بعض الحنفية بعض أتباع الحنفية ، بعضهم أشاعرة بعضهم جهمية ، وبعضهم معتزلة ، وكذلك بعض أتباع الشافعية ، وبعض أتباع المالكية ، وبعض أتباع الحنفية ، وبعض أتباع الحنابلة يوجد في الحنابلة من هو أشعري معتزلي ، يوجد في الشافعية ، وكذلك في الحنفية .

ليس المراد من التلاميذ ، وإنما المراد من أتباع المذهب ، يكون المذهب حنفيا ، هذا مذهب حنفي في فروع ، ولكن في العقيدة أشعري ، أكثر الحنفية أشاعرة ، يكون مثلا في المذهب شافعيا في الفقه مثل الرازي شافعي ولكنه أيش؟ جهمي في العقيدة والصفات ، كذلك قد يكون حنبليا في المذهب لكن في المعتقد يكون يتمشى مع مذهب الأشاعرة وهكذا .

فالمراد من أتباع المذهب ليس المراد تلاميذ الإمام ، "وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة" عمرو بن عبيد هذا هو ، هو وواصل بن عطاء هما اللذان أسسا مذهب الاعتزال ؛ عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء أسسا مذهب الاعتزال ، وكانا من تلاميذ الحسن البصري -رحمه الله- فافترقا عنه وخالفاه .

ويقال: إن سبب ذلك أن رجلا جاء وسأل الحسن البصري عن العاصي ، فانبرى له واصل بن عطاء ، وابن عبيد ، وقال: أنا لا أقول: مؤمنا ولا كافرا وكذا ، ثم جلسا يساره ، وجعل يعترض هذه المذاهب ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، صار الناس يسمونه يقولون: هؤلاء المعتزلة ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت ، فعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء هما اللذان أسسا مذهب الاعتزال ، ولهذا قال: تبعه

على قوله ، تبع الجهم على قوله بعض الحنفية ، وأصحاب عمرو بن عبيد ، ووضع دين الجهمية؛ دين الجهمية موضوع على أي شيء؟ على إنكار صفات الله ، إنكار الأسماء والصفات ، بل إنكار وجود الله يذهب منهم إنكار وجود الله؛ لأن الشيء الذي ليس له اسم ولا صفة لا وجود له .

من أنكر الأسماء والصفات فقد أنكر الله ، فقد أنكر وجود الله لماذا؟ لأنه لا يوجد شيء ليس له اسم و صفات ، كل موجود لا بد له أن يكون صفة المعدوم الآن ، أو الجماد هذه "الماصة" لها طول ولها عرض ولها صفة ، فلو قلت إن هناك "الماصة" ليس لها طول ولا عرض ولا عمق ، وليست في السماء ، ولا في الأرض أيش تكون؟ معدومة ؟ !

حاول الجهم ، هكذا يقولون ، ينفون عن الله جميع الأسماء والصفات ، حتى الغلاة نفوا الوجود – والعياذ بالله– هؤلاء ، ولهذا كفر الجهمية كثيرا من العلماء ، كما ذكر ابن القيم أنهم كفروا خمسمائة عالم .

وقال عبد الله بن المبارك –الإمام المشهور–: إنا لنحكي أقوال اليهود والنصارى ، ولا نحكي أقوال الجهمية، ما نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية من شدة شناعتها وبشاعتها، ما نستطيع أن نحكي أقوال الجهمية ، وإن كنا نحكي أقوال اليهود ، يعني أشد من اليهود ، نسأل الله العافية.

إذن الجهمية ، دين الجهمية مبني على أي شيء؟ على إنكار الأسماء والصفات ، وإنكار وجود الله – نعوذ بالله– يلزم منه إنكار وجود الله.

تفسير الجهمية لقوله تعالى "ليس كمثله شيء" والرد عليهم

فوضع دين الجهمية ، فإذا سألهم الناس عن قول الله –تعالى–: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ ما تفسيره ؟ يقولون: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو

على العرش لا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ولا تكلم ، ولا نظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة ولا يوصف ، ولا يُعرف بصفة ولا بفعل ، ولا له غاية ولا له منتهى ، ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ، وهو علم كله وهو سمع كله وهو بصر كله ، وهو نور كله وهو قدرة كله ، ولا يكون شيئين ، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس له أعلى ولا أسفل ، ولا نواحي ولا جوانب ، ولا يمين ولا شمال ، ولا هو خفيف ولا ثقيل ، ولا له لون ولا له جسم ، وليس هو بمعلوم ولا معقول ، وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

هذا كله سلب ، كلها سلوب ونفي ، نتيجتها العدم ، نتيجتها العدم ، اللي يوصف بهذه الصفات غير موجود ، لا وجود له معدوم .

يقول الإمام أحمد -رحمه الله-: فإذا سأل الناس الجهمية عن قول الله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ما تفسيره؟ يقولون: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من الأشياء ، وسيأتي أن الإمام يقول: إن معنى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من الأشياء ، معناها: العدم .

وسيأتي توضيحها -إن شاء الله- إذا سألهم سائل عن قوله -تعالى- ، إذا سألهم الناس عن قول الله -تعالى-: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ما تفسيره ؟ يقولون: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ من الأشياء ، وهو تحت الأرضين السبع ، كما هو على العرش لا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ولا تكلم ، ولا نظر إليه أحد في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا بفعل ، ولا له غاية ولا له منتهى ، ولا يدرك بعقل أيش يكون؟ معدوم ؟ هذا هو المعدوم .

وقوله: "وهو وجه كله وهو علم كله ، وهو سمع كله ، وهو بصر كله ، وهو نور كله ، وهو قدرة كله" ، المراد: شيء واحد لا يوصف بوصفين مختلفين ، لكن شيء واحد ، وجه كله ، علم كله سمع كله بصر كله ، يعني شيء واحد .

ولهذا قال: "لا يكون شيئين ، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، حتى يكون شيئا واحدا ، لكن هذا الشيء عدم ، شيء في اللفظ فقط ، ولا يكون شيئين ، ولا يوصف بوصفين مختلفين ، وليس له أعلى

ولا أسفل ، ولا نواحي ولا جوانب ، ولا يمين ولا شمال ، ولا هو خفيف ولا ثقيل ، ولا له لون ولا له جسم ، وليس هو بمعلوم ولا معقول ، وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه". إذن هذا ينتج العدم.

قال أحمد: وقلنا: هو شيء ؟ قالوا: هو شيء لا كالأشياء ، فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء ، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئًا بشيء ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشُّنعة بما يقرون من العنانية.

الشُّنعة ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة، الشنعة بضم الشين ، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة ، وقالوا شنُع شناعة: قبح ، وهو شنيع ، والاسم: الشُّنعة ، وقيل: المراد به: الفظاعة يدفعون عن أنفسهم القبح والشناعة والفظاعة بهذا نعم.

قال أحمد -رحمه الله- "وقلنا: هو شيء؟" يعني قلنا للجهمية: هو شيء ؟ فقالوا: هو شيء لا كالأشياء . قلنا للجهمية: هو يعني الله ﷻ الرب ﷻ هو شيء ؟ هل هو شيء ؟ قالوا: هو شيء لا كالأشياء . قال الله -تعالى- ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ ﴾ .

"قلنا: هو شيء ؟": استفهام هذا يعني: أهو شيء -يعني الرب-؟ "قالوا: هو شيء لا كالأشياء" ، فقال الإمام أحمد -رحمه الله- "قلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء يعني أنه معدوم".

إذن أجاب الإمام أحمد ، الجهم لما قال لهم: هل هو شيء ؟ قالوا: "شيء لا كالأشياء"، ماذا أجاب الإمام أحمد -رحمه الله- ؟ قال: الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء ، يعني أنه معدوم، قد عرف أهل العقل أنه لا شيء ، الشيء الذي لا كالأشياء: المعدوم ، لكنكم أنتم لا تريدون أن تصرحوا وتقولوا: إنه معدوم؛ لأنكم تريدون أن تدفعوا عن أنفسكم الشناعة بما تقرون من العنانية .

تقولون: هناك إله ، هناك رب ، وتصفونه بهذه السلوب حتى تدفعوا عن أنفسكم الشنعة، ولا تستطيعون أن تصرحوا وتقولوا هو معدوم ، لكن هذا هو العدم ، الشيء الذي لا كالأشياء عدم ، كيف ذلك؟

من قال: إن الله لا يشبه شيئًا -بوجه من الوجوه- من الأشياء ، فإنه قال بالعدم ، ما يقال: إن الله لا يشبه شيئا من الأشياء بوجه من الوجوه ، بل هناك شيء لا بد من إثباته ، مشابه كل الموجودات لا بد أن تتفق في شيء من الأشياء ، وهو الاتفاق في الذهن ، الاتفاق في المعنى الذهني عند أيش؟ عند القطع ، عند إطلاق اللفظ ، والقطع عن الإضافة والتخصيص، كلفظ وجود ، لفظ علم لفظ يد .

فمن المعلوم بالضرورة أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك يتفقان فيه ، في الذهن ، في مطلق اللفظ ، عند القطع عن الإضافة والتخصيص ، ولا يجب تماثلهما في الخارج كلفظ وجود ، لفظ "وجود" يشمل وجود الله ، ووجود المخلوق ، ففي الوجود ما هو قديم واجب بنفسه ، وهو وجود الله ، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم ، وهو وجود المخلوق ، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود تماثلهما عند الإضافة والتخصيص لماذا؟

لا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود تماثلهما عند الإضافة والتخصيص ؛ لأن الاتفاق إنما هو في المسمى العام ، لفظ وجود ، وهو لا يقبل التماثل في مسمى الاسم عند تخصيصه وإضافته.

لفظ وجود يشمل وجود الله ووجود المخلوق لماذا؟ هذا الاشتراك في أي شيء؟

اشتراك في مطلق اللفظ وفي الذهن ، لفظ وجود ، أعرف في الذهن أن الوجود ضد العدم يشمل وجود الله ، ووجود المخلوق ، لكن متى يزول الاشتباه؟ عند التخصيص والإضافة ، وجود الخالق خلاص ، وجود المخلوق خلاص تميز.

وجود الخالق وجود كامل لا يعتريه نقص ، ولا موت ولا نعاس ولا نوم ولا فساد ، أما وجود المخلوق فيعتريه هذا.

لفظ يد تشمل يد المخلوق ويد الخالق لماذا؟

لأنها قطعت عن الإضافة ، بينهما اتفاق في الذهن ، معنى في الذهن فيه اشتراك ، وكذلك في مطلق اللفظ ، لكن إذا أضفت يد الخالق زال الاشتباه ، يد المخلوق زال الاشتباه ، واضح هذا؟

فمثلًا يمثل العلماء العرش والبعوضة ، العرش والبعوضة متفقان في مسمى الشيء والوجود ، كل من العرش والبعوضة موجود ، كل منهما موجود، والوجود يشمل وجود العرش ووجود البعوضة ، هذا الاتفاق متى يكون الاتفاق بين العرش والبعوضة ، أو بين البعوضة والفيل؟

عند القطع عن الإضافة والتخصيص.

وجود: كل من العرش والبعوضة لفظ وجود .

حياة: كل منهما حي ، هذا حي وهذا حي ، بعوضة وفيل، لفظ الحياة ، واضح هذا؟

لكن لفظ الحياة ، اسم الحياة ، اسم الوجود ، هذا عام ولّا خاص؟ عام ، فلا يقول عاقل: إن العرش والبعوضة: أو البعوضة والفيل متماثلان لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود ، فكذلك أسماء الله وصفاته توافق أسماء المخلوقين وصفاتهم عند الإطلاق ، والتجريد عن التخصيص .

لفظ يد علم قدره سمع بصر ، يد تشمل يد الخالق ويد المخلوق عند القطع ، عند الإطلاق ، قدرة تشمل قدرة الخالق والمخلوق ، سمع يشمل سمع الخالق والمخلوق ، متى يزول الاشتباه ؟ أو متى يزول الاشتراك ؟ إذا أضفت أو خصصت ، يد الله ، قدرة الله ، يد المخلوق ، قدرة المخلوق ، زال الاشتباه ، أما عند القطع فيه اشتراك ، لا بد من اشتراك ، فالذي لا يثبت هذا الاشتراك معناها نفي وجود الله ، نفي أسمائه وصفاته ، والجهم نفى هذا ، الجهم نفى هذا الاشتراك فأنكر وجود الله .

واضح هذا؟

إذن أسماء الله وصفاته توافق ، وأسماء المخلوقين وصفاتهم عند الإطلاق والتجريد عن التخصيص ، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ، وعند الاختصاص والإضافة يقيد بما يتميز به الخالق عن المخلوق ، والمخلوق من الخالق .

وإن كان العقل يفهم قدرًا مشتركًا من المسميين فلا بد من هذا ، فيفهم ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق ، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة لمشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه – سبحانه وتعالى–.

فإذن لا بد من إثبات نوع من الاشتباه ، نوع من الشبه بين الخالق والمخلوق ، لا بد من إثباته ما هو؟ الاشتراك في الذهن ، وفي مطلق اللفظ عند القطع عن الإضافة والاختصاص ، لا بد هذا فيه اشتراك ، اشتراك بين الخالق والمخلوق ، لفظ وجود ، لفظ علم ، لفظ قدرة ، لفظ سمع ، فالذي ينفي هذا النوع من الشبه ، أو من الاشتباه معناه أنكر وجود الله ، وأنكر أسماءه وصفاته .

والجهم أنكر هذا ، ولهذا قال له الإمام أحمد ، لما قال الإمام أحمد: هو شيء؟ للجهم ، وأيش قال الجهم؟ قال: شيء لا كالأشياء ، لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه ، حتى ولا في الذهن عند القطع بالإضافة والتخصيص ، فقال له الإمام أحمد ، ماذا أجابه؟ إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء أنه معدوم .

فعند ذلك تبين للناس أنهم –يعني الجهمية– لا يثبتون شيئًا ، لا يثبتون وجودا لله ، ما يثبتون شيئًا من أسماء الله وصفاته ، ولا يثبتون وجودا لله ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العنانية ، هو يقول له: اثبت أن هذا إله صفته ، ويصفونه بالسلوب حتى يدفعوا عن أنفسهم الشناعة ، ما تجرءوا على القول بإنكار وجود الله صراحة؛ لأنهم زنادقة ومنافقون .

لكن أهل العلم كالإمام أحمد عرفوا أنهم ينكرون وجود الله ، من قولهم: هو شيء لا كالأشياء .

فالذي يقول: إن الله شيء لا كالأشياء ، أو لا يشبه الأشياء في وجه من الوجوه هذا فيه إنكار لوجود الله ، لا بد أن تثبت وجهًا من المشابهة ، ما هو هذا الوجه؟

في الذهن ، وفي مطلق اللفظ عند القطع عن الإضافة والتخصيص ، مثل لفظ وجود ، لفظ علم ، لفظ قدرة ، لفظ سمع ، لفظ يد ، هذا فيه نوع اشتباه واشتراك بين الخالق والمخلوق .

لكن هل هو موجود في الخارج ؟ هل له وجود في الخارج ؟ لا ، ما فيه وجود في الخارج إلا بالإضافة والتخصيص ، لفظ يد هذا عام في الذهن، في الذهن تتصور أن لفظ يد يشمل يد الخالق

والمخلوق ، لفظ علم يشمل علم الخالق وعلم المخلوق في ذهنك ، لفظ قدرة تشمل قدرة الخالق وقدرة المخلوق .

هذا اشتباه ، نوع من الشبه بين أيش؟ بين الخالق والمخلوق ، متى يزول هذا الاشتراك ؟ إذا عُرف ، ويشبه هذا مثل لفظ إنسان ، إنسان الإنسانية معنى الذهني ، في الذهن لفظ الإنسان يشمل جميع الآدميين ، اشتراك واشتباه متى يزول الاشتباه في الخارج ؟ إذا سميت عمرو وبكر وخالد وإسماعيل وفلان ، خلاص زال الاشتباه ، زال الاشتباه بأفراده في الخارج ، لكن إنسان هذا عام ، لفظ إنسان يشمل ، لكن خصص محمد بكر علي عبد الله عبد الرحمن زال الاشتباه .

لفظ الحيوانية ، حيوان هذا عام معناه في الذهن ، متى يزول الاشتراك بأفراده في الخارج ، حيوان فرس مثلًا ، جمل خروف ، وهكذا في الأفراد ، أما لفظ حيوان ، لفظ إنسان ، لفظ علم لفظ قدره ، لفظ وجود هذا عام مشترك ، لكنه في الذهن ما فيه اشتراك من الخارج ، اشتراك في الذهن ، معناه في الذهن عند إطلاق اللفظ وعدم تقييده وتخصيصه .

واضح هذا؟ أظن: وضح الآن قول الإمام أحمد للجهم: إن قولك: "إنه شيء لا كالأشياء" ، عرف أهل العقل أنه لا شيء ، وأنهم لا يثبتون شيئًا بشيء عندكم بشيء ، أنهم عند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئًا بشيء ، عندكم لا يثبتون شيئًا كلمة بشيء -إن صحت- يعني بشيء من الأدلة ، لا يثبتون شيئًا بشيء من الأدلة نعم.

نفاق الجهمية بادعائهم عبادة مدبر الخلق مع وصفهم له تعالى بالجهالة

فإذا قيل لهم: من تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق , فقلنا: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة , قالوا: نعم , فقلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا بشيء , وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون .

يعني الإمام –رحمه الله– يقول: إذا قيل لهم –يعني الجهمية–: من تعبدون ؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق , وهذا من نفاقهم ؛ لأن الزنادقة هم منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر , يقولون: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق , لكن من هو الذي يدبر أمر هذا الخلق ؟ لا وجود له , لا وجود له , فقلنا لهم: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة , قالوا: نعم ؛ كيف , كيف تعبدون مدبر هذا الخلق وهو مجهول ؟ المجهول يعني غير معلوم , على هذا يعبدون أيش: عدم ؟! إذا قيل لهم: من تعبدون ؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق ؛ فقلنا لهم:هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة , قالوا: نعم , فقال الإمام –رحمه الله–: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا , لا تثبتون الوجود لله بشيء من الأدلة , وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ,في الظاهر يقولون: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق , هذا: يريدون أن يخفوا كفرهم وزندقتهم ونفاقهم , لكن في الباطن ما يثبتون شيئا. واضح هذا؟

شبهتهم في نفي الكلام عن الله تعالى والرد عليها

فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى , قالوا لم يتكلم ولا يكلم ؛ لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة , والجوارح عن الله منفية , فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله , ولا يعلم أنه إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر, ولا يشعر أنه إنما يعود قولهم إلى فرية في الله .

يقول الإمام –رحمه الله–: " قلنا لهم: هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو الذي كلم موسى , قالوا: لم يتكلم ولا يكلم لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح عن الله منفية " , يقول الإمام: " فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله " لأنهم يقولون: نحن نتره الله عن المشابهة والمماثلة ؛ لا يكون كالمخلوق الذي يكلم بجارحة , " ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر , ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية في الله ﷻ " .

الرد على شبهة الجهمي القول بخلق القرآن

شبهته في قوله "إنا جعلناه قرآنا عربيا" وأن جعل بمعنى خلق

قال أحمد: ومما يسأل عنه الجهمي يقال له: تجد في كتاب الله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد , فيقال له: فتجد في سنة رسول الله ﷺ أنه قال: إن القرآن مخلوق ؟ فلا يجد , فيقال له: فلم قلت ؟ فسيقول: من قول الله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ وزعم أن كل مجعول هو مخلوق ؛ فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحج بها من أراد أن يلحد في تنزيلها ويبتغي الفتنة في تأويلها .

نعم: هذا الأمر مناقشة الإمام –رحمه الله– الجهمية في قولهم: " إن القرآن مخلوق " يقول الإمام: مما يسأل عنه الجهمي يقال له: أنت تدعي أن القرآن مخلوق فهل تجد في كتاب الله ما يخبر عن القرآن أنه مخلوق فلا يجد , ثم يقال له: هل تجد في سنة رسول الله أنه قال: إن القرآن مخلوق فلا يجد , يعني يقول: هل عندك دليل , فيه نص يقول: إن القرآن مخلوق ؟ نعم: هل عندك نص من السنة , حديث عن الرسول –عليه الصلاة والسلام– يقول: إن القرآن مخلوق ؟ لا يجد , لكن وجد شبهة شرعية استدل بها على أن القرآن مخلوق.

ولهذا قال الإمام –رحمه الله– فيقال له: فلم قلت: إن القرآن مخلوق ؟ قال: فسيقول من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ هذه شبهة آية من القرآن استدل بها الجهم على أن القرآن مخلوق , ما هي الآية ؟

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ وجه استدلال الجهم من كلمة جعل قال: " إن كل مجعول هو مخلوق " ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ وكل مجعول فهو مخلوق والله تعالى يقول: ﴿ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ فدل على أن القرآن مخلوق , واضح الشبهة ؟ هذه شبهة الجهم على أن القرآن مخلوق , شبهة شرعية: آية من كتاب الله قال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ زعم أن –القرآن– كل مجعول فهو

مخلوق , يقول الإمام –رحمه الله –: " ادعى كلمة من الكلام المتشابه , يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيلها ويبتغي الفتنة في تأويلها " نعم.

كلمة جعل في القرآن من المخلوقين بمعنى فعل وبمعنى التسمية

وذلك أن جعل في القرآن من المخلوقين على وجهين: على معنى التسمية وعلى معنى فعل من فعالهم , وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ قالوا: هو شعر وأساطير الأولين وأضغاث أحلام , وهذا على معنى التسمية قال: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ يعني: أنهم سموهم إناثا , ثم ذكر جعل على غير معنى التسمية فقال: ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ ﴾ فهذا يدل على معنى فعل من فعالهم , وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا ﴾ هذا على معنى فعل , فهذا جعل المخلوقين .

هذا على معنى فعل , يقول: الجواب هذه الشبهة أن كلمة " جعل " في القرآن لها معنيان , كلمة جعل في القرآن من المخلوقين لها معنيان , واضح هذا ؟

نأخذ أولا جعل في القرآن , يعني كلمة جعل في القرآن الكريم من المخلوقين تأتي على وجهين من المعنى , واضح ؟

هذا الوجه الأول: أن معناها التسمية , الوجه الثاني: أن جعل تكون على معنى فعل من أفعال المخلوقين , تأتي جعل بالنسبة للمخلوق بمعنى تسمية فقط , يعني سمى: جعل كذا , أي سمى , وتأتي بمعنى فعل من أفعالهم , فالمعنى الأول له أمثلة , والمعنى الثاني له أمثلة.

أمثلة المعنى الأول , والذي جعل بمعنى التسمية: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ جعلوا يعني سموا القرآن عضين " عضين " يعني أجزاء , قالوا: شعر وأساطير الأولين وأضغاث أحلام ,

جزءوا القرآن وسموه بأسماء , قالوا: شعر وسحر وأضغاث أحلام , فالذين جعلوا القرآن عضين المراد التسمية , ومثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ أي سموهم إناثا , واضح ؟ هذه أمثلة للمعنى الأول .

هات أمثلة للنوع الثاني أو للمعنى الثاني: جعل بمعنى فعل من أفعالهم مثل قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ هذا فعل من أفعالهم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ هذا فعل من أفعالهم , واضح ؟ هذا إذن: جعل في القرآن من المخلوقين لها معنيان , ثم جعل من الله لها معنيان .

كلمة جعل من الله في القرآن على معنى خلق وغير خلق

ثم جعل من الله على معنى خلق وجعل على معنى غير خلق , والذي قال الله تعالى جعل على معنى خلق لا يكون إلا خلقا ولا يقوم إلا مقام خلق خلقا لا يزول عنه المعنى , وإذا قال الله جعل على غير معنى خلق لا يكون خلق ولا يقوم مقام خلق ولا يزول عنه المعنى .

يعني يقول: إن " جعل من الله " لها معنيان: المعنى الأول تأتي جعل بمعنى خلق , والمعنى الثاني تأتي جعل على غير معنى خلق , واضح هذا ؟

ولكل واحد أمثلة , ينبغي للإنسان ألا يخلط بين المعنيين , فجعل من الله تأتي ومعناها خلق , وتأتي جعل على غير معنى خلق ؛ فلا يخلط الإنسان بين هذا وهذا . كي أمثلة معنى الأول جعل بمعنى خلق نعم .

أمثلة من القرآن لكلمة جعل على معنى خلق

فمما قال الله جعل على معنى خلق قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ يعني: وخلق الظلمات والنور.

هذا مثال جعل من الله معناها خلق: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ يعني: وخلق الظلمات والنور، نعم.

وقال: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ .

نعم أي: وخلق لكم السمع والأبصار.

يقول: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ .

هذا مثال ثان أيضا كذلك.

وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ ﴾ يقول وخلقنا الليل والنهار آيتين .

هذا أيضا مثال ثالث لجعل بمعنى خلق، نعم.

وقال: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

كذلك مثال رابع: خلق الشمس سراجا، نعم .

وقال: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

يعني خلق منها زوجها , نعم مثال خامس .

يقول: وخلق منها زوجها , يقول: خلق من آدم وحواء. قال: ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ يقول: وخلق لها رواسي , ومثله في القرآن كثير . فهذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خلق .

نعم هذا مثال الأول , هذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خلق.

النوع الثاني: تأتي " جعل من الله " على معنى غير خلق لا يراد بها خلق , نعم.

أمثلة من القرآن لكلمة جعل على معنى غير خلق

ثم جعل على معنى غير خلق قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ لا يعني ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة.

يعني ليس معناه ما خلق يعني جعل ليس معناها خلق هنا, نعم.

وقال لإبراهيم: ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ لا يعني أني خالقك للناس إماما .

هذا: جعل ليست بمعنى خلق , نعم يعني لا تفسر بمعنى خلق ﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ جعله الله للناس إماما يعني أن الله -سبحانه وتعالى- اجتباه وجعله قدوة للناس , ليس معنى خلق: سيأتي ؛ لأنه مخلوق قبل أن يكون إماما , مخلوق قبل ذلك , لكنه لو جعل خالقك إماما لا يستقيم المعنى ؛ لأنه مخلوق قبل ذلك , قبل أن يكون إماما . نعم .

لأن خلق إبراهيم كان متقدما .

متقدم على إمامته قبل ذلك فلو فسرتها بمعنى خلق أو خالقك للناس إماما ما صح المعنى ؛ لأنه مخلوق قبل أن يكون إماما بعد البلوغ وهو صغير في بطن أمه , متى كان إماما ؟ بعد البلوغ , بعد المدة. نعم .

وقال إبراهيم ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ .

هل المعنى اخلق هذا البلد آمنا ؟ هو مخلوق هذا البلد ؛ فلا تستقيم كلمة جعل بمعنى خلق , نعم .

وقال إبراهيم ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ لا يعني اخلقني مقيم الصلاة .

لا يعني اخلقني مقيم الصلاة يعني ما يستقيم المعنى ؛ ما يستقيم معنى تفسيرها بخلق , نعم . ليس معناه اخلقني ليس معنى جعل خلق لأنك لو فسرت اخلقني مقيم الصلاة فسد المعنى اجعلني مقيم الصلاة اخلقني مقيم الصلاة ما يستقيم المعنى.

لا يعني اخلقني مقيم الصلاة وقال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ لا يعني يريد الله ألا يخلق لهم حظا في الآخرة نعم كذلك فهذه ليست بمعنى خلق , نعم. وقال لأم موسى: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ ﴾ لا يعني خالقوه من المرسلين ؛ لأن الله وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك رسولهم .

نعم يعني ليس معناه خالقوه من المرسلين , بل هذا بعث بعد أن يرده يجعله رسولا . نعم.

وقال: ﴿ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ ﴾ لا يعني فيخلقه في جهنم , قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ لا يعني ونخلقهم أئمة ونخلقهم الوارثين , وقال: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ

﴿ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ لا يعني وخلقه دكا , ومثله في القرآن كثير , فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق .

يعني يقول الإمام –رحمه الله–: خلاصة الجواب أن شبهة استدلال الجهمي استدل بقول الله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يقول: إن جعل من المخلوقين لها معنيان , ومن الله لها معنيان , من المخلوق لها معنيان على معنى التسمية وعلى معنى –أيش– فعل من أفعالهم , وكذلك أيضا جعل من الله تكون على معنى خلق وتكون على معنى غير خلق .

فالآية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ليس معناها خلق من المعنى الثاني ؛ لأنك لو فسرت جعلنا بمعنى خلق فسد المعنى , إنا خلقناه قرآنا عربيا , فإنما الإمام –رحمه الله– يرد على الجهمية استدلالهم بـــ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ بأن جعل بمعنى خلق , قال: أنتم ما تعرفون المعاني التي جاءت في القرآن الكريم , والمعاني التي جاءت في كلمة جعل ، جعل من المخلوقين لها معنيان , وجعل من الله لها معنيان: من المخلوقين لها معنى التسمية وعلى فعل من أفعالهم , ومن الله تأتي جعل بمعنى خلق وتأتي على غير معنى خلق , وهذه الآية ليست من النوع الذي بمعنى خلق.

وأيضا مما يوضح هذا الآية الآن: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الآية متعدية إلى أيش ؟ متعدية إلى مفعولين ؛ وإذا تعدت إلى مفعولين لا تكون بمعنى خلق الله, منه قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ ﴾ فهذه: تقول قد خلقتم الله ؟ ما أحد يقول: إن المعنى هذا , إنما تكون إذا تعدت إلى مفعول واحد: ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ ﴾ إذا تعدت إلى مفعول, وهذه الآية تعدت إلى مفعولين ؛ فلا يكون معناها خلق , واضح الآن.

إذن الإمام –رحمه الله– أجاب عن شبهة الجهمي أو استدلال الجهمي بهذه الآية: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ بأن الآية , ليست جعل في الآية لا يمكن أن تكون بمعنى خلق ؛ لأنه لا يستقيم المعنى ,

ولأنها تعدت إلى مفعولين , وهي لا تكون بمعنى خلق إلا إذا تعدت إلى مفعول واحد, واضح هذا ؟ نعم.

الجهمي فسر جعل بمعنى خلق من غير دليل

فإذا قال الله جعل على معنى خلق وقال جعل على غير معنى خلق فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق ؟ .

يعني يقول: إذا كان جعل من الله ﷻ تأتي على معنى خلق وتأتي على غير معنى خلق , فبأي حجة فسر الجهمي جعل في الآية بمعنى خلق بغير دليل ؟ فيرد الجهمي جعل إلى المعنى الصحيح الذي وضعه الله ؛ وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون , يعني يقول: بأي دليل تفسر جعل بمعنى خلق ولها معان عدة كيف تفسرها بهذا المعنى من غير دليل ؟ يعني جعل لها معان عدة , من المخلوقين لها معنيان , ومن الله لها معنيان , نعم.

الجهمي من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه

فإذا قال الله جعل على معنى خلق , وقال جعل على غير معنى خلق ؛ فبأي حجة قال الجهمي جعل على معنى خلق ؟ فيرد الجهمي جعل إلى المعنى الذي وضعه الله فيه ؛ وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون , فلما قال الله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يقول: جعله عربيا , جعله جعلا على معنى فعل من أفعال الله .

هذا التفسير على فعل من أفعال الله على غير معنى خلق إذن: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يقول جعل: فعل من أفعال الله ليس المراد به الخلق: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ تعدت إلى مفعولين فيكون

معناها فعلا من أفعال الله , نعم هذا في اللغة العربية معروف في القواعد: إنا جعلناه قرآنا عربيا تعدت هنا إلى مفعولين , الهاء المفعول الأول , وقرآنا مفعول ثان , لكن: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ هذا مفعول واحد , نعم.

يقول جعله عربيا , جعله جعلا على معنى فعل من أفعال الله على غير معنى خلق .

إذن: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يعني: " جعل " فعل من أفعال الله ليس المراد خلق , وفعل الله من صفات أفعال الله , وصفاته وأفعاله تليق بجلاله وعظمته , نعم.

معنى "إنا جعلناه قرآنا عربيا" جعل فعل من أفعال الله

وقال في" سورة الزخرف ": ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . وقال: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ وقال: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ فلما جعل الله القرآن عربيا ويسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلا من أفعال الله -تبارك وتعالى- جعل القرآن به عربيا مبينا .

واضح هذا؟ إذن جعله قرآنا عربيا نقول: " جعل " فعل من أفعال الله -تبارك وتعالى- جعل به القرآن عربيا , نعم.

خطأ من فسر "إنا جعلناه قرآنا عربيا " بمعنى أنزلناه

وليس -كما زعموا- معناه: أنزلناه بلسان العرب , وقيل: بيناه , يعني: هذا بيان لمن أراد الله هداه .

يعني: إنا جعلناه قرآنا عربيا , بعضهم يقول: إن هذا معناه أنزلناه قرآنا عربيا , ليس معناه أنزلناه , نعم.

الرد على شبهة الجهمي هل القرآن هو الله أو غير الله

ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر –وهو من المحال– فقال: أخبرونا عن القرآن أهو الله تعالى أو غير الله؟ فادعى في القرآن أمرا يوهم الناس؛ فإذا سأل الجاهل عن القرآن: أهو الله أو غير الله؟ فلا بد له من أن يكون بأحد القولين, فإن قال: هو الله؛ قال له الجهمي: كفرت, وإن قال: غير الله؛ قال: صدقت، فلم لا يكون غير الله مخلوقا ؛ فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي , وهذه المسألة من الجهمية هي من المغاليط .

هذه شبهة عقلية , الأولى: شبهة شرعية , هذه شبهة للجهم عقلية من العقل , والأولى: شبهة شرعية يعني من الشرع من القرآن , هذه الشبهة من الجهم يقول: أخبرونا عن القرآن أهو الله أو غير الله ؟ فلا بد أن تجيب بأحد الأمرين , فادعى في القرآن أمرا يوهم الناس ؛ فإذا سئل الجاهل عن القرآن أهو الله أو غير الله ؟ .

فلا بد له أن يقول بأحد أمرين , فإن قال: هو الله , القرآن هو الله ؛ قال له الجهمي: كفرت , لماذا ؟ لأنك قلت بتعدد الخالق , تعدد الخالق: الله هو القرآن شيئان , قلت بتعدد الخالق , وإن قال: غير الله ؛ قالوا: صدقت , وغير الله مخلوق ؛ فلم لا يكون مخلوقا , هذه شبهة الجهمي يقول أيش ؟ يقول الجهمي: شبهة عقلية , يقول لأهل السنة وغيرهم: هل القرآن هو الله أو غير الله ؟ لو قلت: هو الله ؛ قال: كفرت ؛ لأنك قلت بتعدد الخالق , وإن قلت: غير الله ؛ قال: هو مخلوق , غير الله مخلوق , كل شيء غير الله فهو مخلوق , واضح هذا ؟ الإمام –رحمه الله– يقول: يقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهم , فسيأتي جواب الإمام أحمد يقول: لا نقول هو الله ولا نقول هو غير الله , سماه كلاما ؛ نسميه كلاما الله كما سماه الله , ولا نأتي بشيء من عند أنفسنا.

والجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله ؟ قيل له: إن الله –جل ثناؤه– لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا , ولم يقل: غيري , وقال: هو كلامي ؛ فسميناه باسم سماه الله

به , فقلنا: كلام الله , فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين , ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين .

واضح الجواب ؟ إذن الجواب للشبهة يقول: لا نقول: القرآن هو الله , ولا نقول: غير الله ؛ لأن الله تعالى لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا , ولم يقل: إن القرآن غيري , وإنما سماه كلامه , قال: القرآن كلام الله ؛ فنقول: إن القرآن كلام الله , لا نقول: هو الله , ولا نقول:غير الله , نقول: القرآن كلام الله ، الله سماه كلامه , فمن سمى القرآن باسم سماه الله به كان من المهتدين , ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين . ثم يبين الإمام –رحمه الله– بأن الله فصل بين الخلق والأمر فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأمر –كلامه– والخلق: فهما شيئان , فمن قال: إن القرآن مخلوق ؛ جعله الخلق , والقرآن كلام الله وأمره , والأمر غير الخلق , فصل الله بينهما: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ هذا شيء , وهذا شيء , نعم تكملة الجواب , نعم عرفنا إذن الجواب ؛ الإمام يقول: لا نقول هو الله ولا نقول غير الله , بل نقول كلام الله ؛ لأن الله سماه كلامه , ما قال: إن القرآن أنا , ولا قال: غيري , هو كلام الله , صفة من صفاته , نعم.

بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه

وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه , ولم يسمه قولا فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فلما قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك , ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: "والأمر" فأمره: هو قوله –تبارك وتعالى– ؛ فلا يكون قوله خلقا .

إذن يقول: فصل الله تعالى بين قوله وبين خلقه , فصل بينهما بالواو , ولم يسمه قولا ولم يسم الخلق قولا فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ شيئان بينهما فاصل بالواو , قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فلما قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك , كل المخلوقات دخلت في

قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ ﴾ ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: ﴿ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ فالأمر: هو قول الله -تبارك وتعالى- فلا يكون خلقا , واضح هذا ؟ .

إذن: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ ألا له الخلق: جميع المخلوقات دخلت , ثم بعد ذلك والأمر: هذا كلام الله ليس من الخلق ؛ ولأن أمر الله كلام الله لأن الله تعالى يخلق بالكلام: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ فلو كان الكلام مخلوقا للزم أن يكون مخلوقا , ولو كان الأمر مخلوقا لكان مخلوقا بأمر آخر , والآخر بآخر إلى ما لا نهاية ؛ فيفضي إلى التسلسل وهو باطل , فالله تعالى يخلق بأيش ؟ بالكلام , بالقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ نعم.

قال الله عن القرآن "أمرا من عندنا" فالقرآن هو الأمر

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ثم قال: القرآن هو أمر من عندنا .

يعني قوله: ﴿ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ هذه تكملة للجواب قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ يعني القرآن: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ يعني ليلة القدر: ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ ﴾ ثم قال: القرآن هو أمر من عند الله.

القول غير الخلق فالله يخلق ويأمر

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ يقول: لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق فالله يخلق ويأمر.

يعني في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ ﴾ لله الأمر يعني: القول من قبل , يعني: من قبل الخلق ومن بعد الخلق , فالله له القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق ؛ إذن القول غير الخلق فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه . نعم.

فالله يخلق ويأمر , وقوله غير خلقه وقال: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ ﴾ .

ذلك أمر الله أنزله إليكم: قوله يعني , نعم.

وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ يقول: جاء قولنا .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ يقول: جاء أمرنا يعني قولنا , نعم.

(باب): بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه وأمره .

– الباب هذا –أيضا– زيادة توضيح: أن الله تعالى فصل بين الخلق وبين الأمر؛ زيادة لتوضيح الجواب, تابع الجواب: زيادة توضيح تبين أن الله تعالى فصل بين الخلق والقول, وأنهما شيئان, وأن أحدهما لا يدخل في الآخر, الباب هذا الجاي يكون –إن شاء الله– في الدرس القادم.

الآن نترك بقية الوقت للأسئلة, وفقنا الله جميعا لطاعته, ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح.

نعم: القرآن , القرآن كلام الله , نعم فيه أسئلة ؟ نعم: النسخة الثانية فيها أغلاط , صحح النسخة , فيها تحقيق للشيخ إسماعيل الأنصاري –رحمه الله– هي المعتمدة , هي الصحيحة , النسخة الثانية لعبد الرحمن عميرة فيها غلط , فيها أخطاء , نعم .

س: يقول السائل: فضيلة الشيخ: هل العذاب في القبر منصب على الروح فقط , أم على البدن والروح ؟

ج: العذاب في القبر على الروح أغلب , والجسد يناله ما قدر له , فهو على الروح والجسد , إلا أن الروح ينالها أكثر .

وذهب المعتزلة إلى أن العذاب والنعيم على الروح , وهذا قول باطل , والصواب: أن كلا من النعيم والعذاب ينال الروح والجسد , إلا أن الروح أغلب , فالدور ثلاثة: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار .

ففي الدنيا: الأحكام على الروح والجسد , على الجسد أغلب من الروح , الإنسان إذا ضرب الآن أو تألم يتألم الجسد أكثر , والروح تتألم في دار البرزخ بالعكس في القبر يتألم الروح أكثر من الجسد , وفي يوم القيامة يكون العذاب والنعيم على الروح والجسد على حد سواء , واضح هذا ؟ فإذن الأحكام في البرزخ على الروح أكثر , العذاب والنعيم على الروح أكثر, والجسد يناله ما قدر له ؛ ولهذا الجسد يبلى ويصير ترابا والروح باقية في عذاب أو نعيم .

الروح تنقل للإنسان , روح المؤمن تنقل إلى الجنة , وروح الكافر تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد , واضح هذا ؟

فإذن الأحكام من النعيم والعذاب في البرزخ على الروح أكثر , والجسد يناله ما قدر له , خلافا للمعتزلة القائلين بأن الأحكام تكون على الروح فقط , نعم .

س: فضيلة الشيخ هل الكفر كفران: كفر عملي واعتقادي , أم أنه واحد ؟

ج: نعم: الصواب أن الكفر كفران: كفر اعتقادي وكفر عملي , والاعتقادي يكون كفرا أكبر وكفرا أصغر, والعملي يكون كفرا أكبر ويكون كفرا أصغر , كل منهما إذا كان ينافي الدين بالكلية – ولو كان عمليا– يكون كفرا مثل ترك الصلاة , لكن لو داس المصحف بقدميه أو بلع المصحف هذا كفر –والعياذ بالله– .

والكفر الاعتقادي مثل من جحد –أنكر مثلا– وجود الله وجحد الأنبياء أو أنكر رسالة النبي ﷺ أو ما أشبه ذلك , وقد يكون اعتقاديا مثل اعتقاده في الحلقة والخيط أنها سبب من الأسباب ؛ هذا كفر أصغر , ومثل النياحة على الميت والطعن في النسب: ﴿ اثنتان في الناس من الكفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ هذا كفر أصغر لا يخرج من الملة , نعم .

س: فضيلة الشيخ: أشكل علينا قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾ هل نثبت لله من هذه الآية صفة النسيان؟

ج: هذا من باب الجزاء -هذا سبق- المراد ننساكم: نترككم في النار , نعاملكم في النار , نعاملكم معاملة المنسي ؛ كما نسيتم لقاء يومكم , كما نسيتم الاستعداد والعمل للقاء الله ﷻ يعاملون معاملة المنسي ؛ ولهذا قال العلماء: ننساكم نترككم في النار , المراد بالنسيان: الترك , وإلا فالله تعالى لا يلحقه النسيان: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ وسبق الجمع بين الآيات , كما سبق في الأمثلة التي ذكرها الإمام أحمد -رحمه الله- ننساكم: نعاملكم معاملة المنسي , وإلا فالله لا ينسى شيئا , كما أنهم نسوا العمل عوملوا معاملة المنسي من باب المقابلة , نعم .

س: فضيلة الشيخ: هل يعتبر من يتتبع الرخص في أغلب أحواله من الزنادقة ؟

ج: يقول العلماء: من يتتبع الرخص تزندق يعني اللي يطلب الرخص , ولهذا لما طلب بعض الناس ؛ أتى بكتاب جمع فيه الرخص , والرخصة في مذهب الشافعي كذا , والرخصة -كتاب عن الرخص- والسقطات في مذهب الحنابلة , في مذهب المالكية , في مذهب الأحناف ؛ يجد بعض الناس في بعض المذاهب قد يبيح " الغنا " , بعضها يبيح كذا , بعضها يبيح " الإسقاط " , ورفعها إلى بعض الخلفاء ؛ فقال أحد العلماء: من عمل بهذا تزندق , من تتبع الرخص تزندق: معناه يتبع الهوى يعمل بهواه , ليس يعمل بشرع الله , تتبع الرخص , كل رخصة زل بها عالم يأخذها ويعمل بها ؛ يجد زلات كثيرة: هذا زل فأباح " الغنا " مثل ابن حزم , وهذا زل فأباح " شيئا من الربا " , وهذا زل فأباح شيئا كذا , وهكذا ... فيعمل بهذه الزلات ؛ فيكون متزندقا , ويتحلل من الدين , هذا معناه , نعم .

س: يقول: هل يجوز نسبة الأفعال إلى صفات الله مثل قوله: اقتضت حكمة الله , واقتضت مشيئة الله ؟

ج: نعم , جاء ما يدل على ذلك: حكمة الله اقتضت كذا , شاء الله كذا , وأراد كذا , أما أرادت مشيئة الله لا , ما يقال: اقتضت حكمة الله كذا , شاء الله كذا , وأراد كذا .

س: وكذلك: أجبرتني الظروف , وجار علي الزمان ؟ .

ج: لا , أخشى أن يكون هذا من سب الدهر ؛ ما ينبغي أن يقول: " جار عليّ الزمان " يخشى أن يكون هذا من سب الدهر , وإنما يصبر ويحتسب ويسلم القضاء لله , ويقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ نعم .

س: فضيلة الشيخ: هل تجوز الصلاة خلف من يؤمن بعقيدة الجهمية والمعتزلة ؟ .

ج: هذا كما سبق ما ينبغي أن يصلى خلف الجهمي والمعتزلي , الإنسان يحتاط ؛ لأن هنا من كفر المعتزلة والجهمية كذلك , لكن إذا قامت عليه الحجة ما تصح الصلاة خلفه ؛ إذا صلى خلف جهمي قامت عليه الحجة فلا تصح الصلاة , نعم .

س: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ وبين قوله ﷺ ﴿ إن الله يترل في الثلث الأخير من الليل ؟ ﴾ .

ج: لا منافسة بينهما فالله تعالى استوى على العرش وهو فوق العرش حقيقة , ويترل نزول جلاله وعظمته , لا نكيف , لا ينشأ الإشكال إلا لو كيفت , إذا كيفت –ما فهمت من نزول الخالق إلا كما تفهم من نزول المخلوق– جاء الإشكال , أما إذا قلت: يترل نزول جلاله وعظمته وهو فوق العرش ؛ لأن أدلة النصوص الفوقية نصوص محكمة ما فيها إشكال , فالله تعالى فوق العرش , والترول –فعل من أفعال الله وصفة من صفات الله يليق بجلال الله وعظمة الله –لا يكيف , هو يترل –وهو سبحانه فوق العرش –نزولا يليق بجلال الله وبعظمته , لا نكيف ولا نعلم الكيفية , نعم .

س: فضيلة الشيخ: هل صح عن ابن كثير –رحمه الله تعالى– أنه أول الصفات , مع العلم أن هناك كتابا ألفه البعض وسماه: " ابن كثير بين التفويض والتأويل " ؟ .

ج: الحافظ ابن كثير –رحمه الله – من علماء السلف , وإن تفسيره سليم , ما أعرف أن الحافظ ابن كثير يؤول , الحافظ ابن كثير من علماء السلف ومن علماء السنة ومن المحدثين ومن الأئمة , يفسر معتقدات السنة والجماعة.

فهذا الشخص الذي ألف لـــ: " ابن كثير بين التأويل وبين ... " ينظر في كتابه: يحتمل أن يكون هذا الشخص هو غلطان , معروف أن الحافظ ابن كثير ليس من المؤولين , ما يؤول , نعم .

س: فضيلة الشيخ: هل نقول ابن حجر -رحمه الله - من الأشاعرة , أم أنه وافق الأشاعرة في مسألة الصفات فقط ؟ .

ج: يحتاج إلى مراجعة كلامهم له في" شرح البخاري " الحافظ ابن حجر في" فتح الباري " له تأويلات توافق الأشاعرة أو الصفات: تأويل صفة الغضب وغيرها , لكن هل يقول بمذهب الأشاعرة ؟ هو أحيانا يكون مع أهل السنة , قد يكون متذبذبا , أقول: بـــ " أنه من الأشاعرة " يحتاج إلى تأمل ونظر في معتقده , وفي كلامه , وهذا ...

أما كونه موافقا للأشاعرة: نعم , يوافقهم في تأويل بعض الصفات , وكذلك النووي -رحمه الله - وهم علماء كبار , ظنوا أن هذا هو الحق واجتهدوا ؛ لأنهم لم يوفقوا في سن الطلب , لم يوفقوا لمن ينشئوهم على معتقد أهل السنة والجماعة ؛ فظنوا أن هذا هو الحق , ولهم أعمال جليلة , وهم علماء كبار , لهم اليد الطولى في الحديث وفي مصطلح الحديث , نفعوا الأمة , نسأل الله أن يعفو عنا وعنهم , وأن يغفر لنا لهم , نعم .

س: فضيلة الشيخ: في المثال الخامس عشر قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ ﴾ فهل يمكن أن نقول: إن طعام الكفار كله من ضريع , وهذا للعموم , والآية الثانية خصت الأثيم بالزقوم ؟ .

ج: سبقت الإجابة على هذا , وقلنا: إن الإمام أحمد أجاب بأن الأهواء ليس لها مطاول ؛ لأنه يقول: ذلك اليوم: ويأكلون الزقوم بعد ذلك , وسبقت الإجابة , وإن عذاب الكفار متنوع: وإن منهم من له الزقوم , ومنهم من له الضريع , ومنهم من له الغسلين , وتابع الشيخ في هذا ترى الجواب ...

س: فضيلة الشيخ: ما صحة هذه المقولة: " العمل أو القول إذا كان كفرا لا يلزم من صاحبه أن يكون كافرا ؟.

ج: نعم قد تكون المقولة كفرا أو العمل كفرا ولا يلزم ذلك أن يكون صاحبه كافرا ؛ هذا إذا كان متأولا و لم تقم عليه الحجة , فيقال: المقالة كفر والشخص لا يكفر ؛ حتى تقام عليه الحجة , حتى تزول الموانع ويوجد ما يدل على أنه قد قامت عليه الحجة , لا بد أن تنتفي الموانع , فقد يقول بعض الناس كلمة تكون كفرية ولا يكفر الشخص لكونه معلوما , نعم .

س: فضيلة الشيخ: يقوم بعض الناس –بالبعد عن القبر– عند دفن الميت , فهل يعد هذا من البدع ؟.

ج: إذا قام بعد الدفن ليدعو له ؛ فهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: ﴿ استغفروا وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ المنافقين ,: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ فالمؤمن يقام على قبره بعد الدفن ويدعى له , والمنافق لا يقام على قبره ولا يدعى له , إذا قام للدعاء لا بأس , نعم .

جزى الله فضيلة الشيخ خير الجزاء , ونفعنا بما سمعنا إنه سميع مجيب آمين وفقنا الله جميعا لطاعته , ورزقنا الله جميعا بما ينفعنا , وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في الدرس الماضي استعرضنا بعض الشبه للجهمية في القول بخلق القرآن , قولهم بخلق القرآن: وفيه أن الإمام أحمد –رحمه الله– قال للجهمي لما قال: إن الله شيء لا كالأشياء: إن الشيء الذي لا كالأشياء لا وجود له , كيف ذلك ؟ جاوب الإمام أحمد لما قال الجهمي: إن الله شيء لا كالأشياء ؛ قال الإمام أحمد: الشيء الذي لا كالأشياء عدم لا وجود له , كيف ذلك ؟ في مطلق اللفظ: أنه ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك يشتركان فيه في الذهن في المعنى , وعند إطلاق اللفظ: ما هو الشيء الذي يشتركان فيه ؟.

مسمى الشيء المعنى العام: مثلا لفظ " وجود " تشترك فيه جميع الموجودات , يدخل فيه وجود الخالق ووجود المخلوق , لكن هذا الاشتراك لا يكون إلا في الذهن ولا يكون إلا عند الإطلاق , وعند القطع وهو التخصيص .

أما إذا قيد أو خصص أو أضيف ؛ زال الاشتراك , واضح هذا ؟ فالذي يقول: إن الله لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه معناه أنكر وجود الله , معناه أنكر هذا الشيء الذي تشترك فيه الموجودات في الذهن , وهو الشيء الذهني , واضح هذا ؟ ومن أنكر ذلك فقد أنكر الوجود .

استعرض الإمام –رحمه الله– وذكر أن هناك شبها , ذكر المؤلف –رحمه الله– شبه متعددة , ست شبه للجهمية في قولهم: " إن القرآن مخلوق " الشبهة الأولى: ما هو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ ووجه الاشتباه على الجهمية ؛ فقالوا: إن جعل بمعنى خلق , فالمعنى: أن القرآن مخلوق , بماذا أجاب الإمام؟ نعم المعنى الأول: التسمية جعل معناها التسمية , والثاني: بمعنى فعل من أفعالهم ومنه قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ هذا فعل من أفعالهم , ومثل: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ هذا التسمية.

الثاني: مثل وكذلك جعل من الله لها معنيان , نعم بمعنى خلق , والمعنى الثاني على معنى غير خلق , مثال الأول: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ مثال الثاني: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾ ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ .

الشبهة الثانية للجهمي: ما هي الشبهة الثانية ؟ هل القرآن الله أو هو غير الله ؟ فإن قال: هو الله ؛ قال له الجهمي: كفرت ؛ لماذا ؟ لأنك قلت بتعدد الخالق , ولأنك وصفت الخالق بوصفين , وإن قال: هو غير الله ؛ قال: صدقت , ولكن غير الله مخلوق .

بماذا أجاب الإمام عن الشبهة ؟ هذا الجواب: نعم , نقول: إن الله سمى القرآن كلامه لم يقل إن القرآن أنا و لم يقل غيري ؛ فمن سماه كلام الله كان من المهتدين , ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين .

وقد فصل الله بين القول والخلق في قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ تقول: ألا له الخلق دخل فيه جميع المخلوقات, ثم والأمر هذا شيء آخر, وهو كلام الله ﷻ وقفنا أيضا على الباب – (باب): بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه وأمره–. نعم.

باب بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه وأمره

قَالَ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:

(باب) بيان ما فصل الله بين قوله وخلقه وأمره , وذلك أن الله –جل ثناؤه– إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسام فهو مرسل غير مفصل غير مقيد , وإذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما , ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسام وهو مرسل , و لم يقل: إن له أبا وشيخا وكبيرا , وقال: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ ثم قال: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ فهذا شيء واحد فهو مرسل , فلما ذكر شيئين مختلفين ؛ فصل بينهما , فذلك قوله: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ ﴾ فلما كان البكر غير الثيب ؛ لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما.

فذلك قوله: ﴿ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ وقال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ ﴾ فلما كان البصير غير الأعمى ؛ فصل بينهما , ثم قال: ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ ﴾ فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر ؛ فصل بينهما , ثم قال: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ فهذا كله اسم شيء واحد فهو مرسل ليس بمفصل , فكذلك إذا قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ لأن الخلق غير الأمر فهو مفصل .

إذن هذا الباب يبين فيه الإمام –رحمه الله– أن الشيء إذا كانت له أسماء متعددة وأوصاف متعددة ؛ يأت بعضها تلو بعض من دون أن يفصل بينهما بالواو , أما إذا كانت متغايرة فلا بد أن يفصل بينهما بالواو ؛ ولهذا قال الإمام: وذلك أن الله –جل ثناؤه– إذا سمى الشيء الواحد باسمين أو بثلاثة أسام فهو مرسل غير مفصل غير مقيد , إذا سمى باسمين أو بثلاثة تأت تباعا الاسم بعد الاسم دون أن يفصل بينهما بالواو, أما إذا سماهم بشيئين مختلفين فلا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما يعني بالواو.

مثال الأول: وهو أن يسمي الواحد باسمين أو ثلاثة أسام ويكون مرسلا وغير مقيد قول الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسماء:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا ﴾ هو يعقوب , هذه الأوصاف كلها ليعقوب: فهو أب وهو شيخ وهو كبير ﴿ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ كلها ثلاثة أسماء لشيء واحد ؛ ولهذا ما فصل بينها , ولم يقل: إن له أبا وشيخا وكبيرا , بل أرسلها , ومثله قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ﴾ هذه كلها صفات لشيء واحد , صفات للزوجات: مسلمات وصف لهن , مؤمنات هذا وصف لهن , قانتات: القنوت دوام الطاعة , تائبات: التوبة الرجوع إلى الله , عابدات , سائحات.

ثم بعد ذلك لما جاء الوصف مختلفا ؛ فصل بينهما بالواو –لما جاء بوصفين مختلفين فصل بينهما بالواو– فقال: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥ ﴾ ولم يقل: ثيبات أبكارا ؛ لماذا ؟ لأن البكر غير الثيب –تختلف– , فلما كان سمى الشيء باسمين مختلفين ؛ فصل بينهما بالواو لأنهما مختلفان ؛ فقال: ﴿ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥ ﴾ ولما كانت الصفات السابقة كلها صفات لشيء واحد: ﴿ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٖ

﴿ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ لما كانت كلها أوصافا لشيء واحد ؛ لم يفصل بينها بالواو , بل أرسلها هكذا: ﴿ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ فلما اختلف المعنى ؛ فصل بالواو فقال: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ .

هذا معنى قول المؤلف , فهذا الشيء واحد فهو مرسل يعني قوله تعالى: ﴿ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ ﴾ فلما ذكر شيئين مختلفين يعني: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ فصل بينهما يعني بالواو , فذلك قوله: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ ﴾ فلما كانت البكر غير الثيب ؛ لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما يعني بالواو فذلك قوله: ﴿ وَأَبْكَارًا ۝٥ ﴾ .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ ﴾ لما كان البصير غير الأعمى ؛ فصل بينهما بالواو لم يقل: وما يستوي الأعمى البصير , البصير غير الأعمى , فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما بالواو .

وكذلك مثله: ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ ﴾ كلها مختلفة , هذه الظلمات غير النور , والظل غير الحرور ؛ ولهذا فصل بينهما بالواو و لم يرسله , ويقول: الظلمات والنور والظل والحرور , فلما كان كل واحد من هذا شيئا غير الشيء الآخر ؛ فصل بينهما بالواو .

ثم قال: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ ثم إلى قوله: ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ فهذه كلها أسماء لله ﷻ فلما كانت أسماء لله ﷻ أسماء لشيء واحد وهو الله , اسم لله ﷻ فلما كانت الأسماء لله ﷻ كلها أسماء لله ؛ لم يفصل بينها , فلهذا قال: فهذا كله اسم لشيء واحد فهو مرسل ليس بمفصل .

نأتي إلى موضوع البحث –وهو الخلق الأمر– قال المؤلف: فكذلك إذا قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ لأن الخلق غير الأمر فهو مفصل , لما كان الخلق غير الأمر والأمر غير الخلق ؛ فصل بينهما

بالواو , لو كان الأمر داخلا في الخلق كما تزعمه الجهمية -الجهمية تقول: الأمر داخل في الخلق , الأمر الذي هو قول الله مخلوق- لو كان داخلا في الخلق لما فصل بينهما بالواو, لو كان شيئا واحدا لقال: ألا له الخلق الأمر , فلما فصل بينهما بالواو: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ دل على أن الخلق غير الأمر , وأن الأمر كلام الله , وكلام الله غير الخلق , كلام الله صفة من صفاته غير الخلق ؛ فلهذا فصل بينهما بالواو فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ واضح هذا ؟ هذا كله تابع لجواب الشبهة السابقة , نعم.

باب بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلا وحيا وليس بمخلوق

(باب) بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلا وحيا وليس بمخلوق قوله: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ قال: ذلك أن قريشا قالوا: إن القرآن شعر , وقالوا: أساطير الأولين , وقالوا: أضغاث أحلام , وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه , وقالوا: تعلمه من غيره ؛ فأقسم الله بالنجم إذا هوى -يعني القرآن إذا نزل- فقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ يعني محمدا , ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ يقول: إن محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه فقال: إن هو يقول: ﴿ مَا هُوَ ﴾ يعني القرآن: ﴿ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ ثم قال: ﴿ عَلَّمَهُۥ ﴾ يعني: علم جبريل محمدا ﷺ القرآن , وهو: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ فسمى القرآن وحيا و لم يسمه خلقا .

إذن هذا الجواب في بيان أن القرآن وحي الله: أن الله سمى القرآن وحيا و لم يسمه خلقا , ففيه الرد على الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق.

ولهذا بوب الإمام أحمد -رحمه الله- فقال: (باب) بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلا وحيا وليس بمخلوق قوله: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ

ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ قال: ذلك أن قريشا قالوا: إن القرآن شعر , وقالوا أساطير الأولين: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾ وقالوا: أضغاث أحلام , وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه , وقالوا: تعلمه من غيره.

كم قولا ؟ ستة أقوال أو خمسة , قالوا: القرآن شعر , وقالوا: أساطير الأولين , وقالوا: أضغاث أحلام , وقالوا: تقوله محمد من تلقاء نفسه , وقالوا: تعلمه من غيره , خمسة أقوال .

فأقسم الله بالنجم إذا هوى -يعني القرآن إذا نزل-: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ القرآن إذا نزل , كيف سمي القرآن نجما هوى , نزل ؟ لأنه نزل منجما على حسب الحوادث , منجما يعني مفرقا على حسب الحوادث , هذا أحد الأقوال .

وقيل المراد بالنجم: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ ﴾ الثريا إذا سقطت مع الفجر , ويكون الله تعالى أقسم بالثريا لأن له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته .

وقيل المراد بالنجم إذا هوى: إذا رمي به الشياطين , قال الحافظ ابن كثير: وهذا القول له اتجاه ؛ فإذا أقسم الله بالنجم إذا هوى -وهو القرآن إذا نزل , أو الثريا إذا سقطت مع الفجر , أو النجم إذا رمي به الشياطين- أقسم الله على أي شيء ؟: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ صاحبكم يعني: محمدا ﷺ ما ضل: ليس ضالا , وما غوى: ليس غاويا , أقسم الله أن محمدا ﷺ ليس ضالا ولا غاويا , بل هو راشد بل هو بار راشد -عليه الصلاة والسلام- .

فإذن الأقسام ثلاثة: إما أن يكون الإنسان ضالا , وإما أن يكون غاويا , وإما أن يكون راشدا .

فالضال: الذي ليس معه علم , الجاهل هذا: ضال ما عنده علم ولا بصيرة ولا دين ؛ يقال له: ضال .

والغاوي: ما كان معه علم وبصيرة ولكن انحرف , ترك العلم واتبع الهوى ؛ يقال له: غاو, الغاوي معه علم وعنده دليل لكن ترك الحق وأعرض عنه وتبع الباطل ؛ هذا يسمى غاويا .

والوصف الأول: الضلال هذا ينطبق على أكثر النصارى ضُلاَّل , يوجد فيهم علماء لكن غالبهم ضُلاَّل , والوصف الثاني: الغواية ينطبق على اليهود , أكثر اليهود معهم علم ولكن لم يعملوا به .

وما فسد من العلماء من هذه الأمة فله شبه باليهود , وما فسد من العباد والزهاد من هذه الأمة فله شبه بالنصارى , والغاوي مغضوب عليه , والضال مغضوب عليه ؛ لأنه ترك الحق مع معرفته , والضال هو المنحرف , وهذان الصنفان هما اللذان أمرنا الله أن نسأله أن يجنبنا طريقهم في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ هذا الغاوي كاليهود ومن معهم: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ هؤلاء النصارى الضُلاَّل .

بقي المنعم عليهم –صراط المنعم عليهم– فمحمد منعم عليه بار راشد , ليس ضالا كالنصارى وليس غاويا كاليهود , بل هو منعم عليه بار راشد , الراشد هو المنعم عليه .

فالناس طبقات: منعم عليهم ومغضوب عليهم وضالون , فالذين تركوا العمل ومعهم علم هؤلاء هم المغضوب عليهم كاليهود , والذين عبدوا الله على جهل وضلال سموا ضلالا كالنصارى , والذي عرف الحق وعمل به هذا منعم عليه بار راشد .

فالله تعالى أقسم بالنجم أو بالقرآن , وله أن يقسم بما يشاء –سبحانه وتعالى– بأن محمد ﷺ ليس ضالا ولا غاويا , بل هو منعم عليه راشد بار –عليه الصلاة والسلام–: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ ﴾ محمد: ﴿ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ .

إذن إذا كان راشدا بارا منعما ليس ضالا ولا غاويا ؛ فلا يمكن أن يغير القرآن ولا يبدله بل هو يأتي به من عند الله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ يقول: إن محمدا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه كما وصفه به المشركون ؛ فقال: إن هو يقول: ما هو ؟ يعني القرآن: ﴿ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ ؛ فأبطل الله أن يكون القرآن شيئا غير الوحي لقوله: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ ثم قال: "علمه" يعني علم جبريل محمدا ﷺ القرآن , و "شديد القوى" يعني: جبريل شديد

القوى , و "ذو مرة" قوة يعني: جبريل ,: "فاستوى" يعني: جبريل , إلى قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ ؛ فسمى القرآن وحيا و لم يسمه خلقا , ففيه الرد على من ؟ الرد على هؤلاء الجهمية الذين يقولون: إن القرآن مخلوق , نعم.

الرد على شبهة الجهمي أن القرآن شيء والله خالق كل شيء

ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر فقال: أخبرونا عن القرآن , هو شيء؟ فقلنا: نعم هو شيء , فقال: إن الله خالق كل شيء ؛ فلم لا يكون القرآن من الأشياء المخلوقة , وقد أقررتم أنه شيء .

هذه الشبهة الثالثة من الشبه , وهي شبهة عقلية من شبه الجهمية –من شبه الجهمي– الشبهة الثالثة: شبه بها على أن القرآن مخلوق , يقول الجهمي: أخبرونا عن القرآن , هل هو شيء ؟ قلنا: نعم هو شيء ؛ فقال: إن الله خالق كل شيء , قال: الله خالق كل شيء ؛ فلم لا يكون القرآن من الأشياء المخلوقة , إذا قلتم إن القرآن شيء لما لا يكون مخلوقا ؟ وقد قال الله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ نعم.

تلبيس الجهمي على الناس بما ادعاه

فلعمري: لقد ادعى أمرا أمكنه فيه الدعوى , ولبس على الناس بما ادعى .

كلمة فلعمري هذه: كلمة لتأكيد الكلام , ليست قسما , وأما قوله تعالى في " سورة الحجر ": ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ هذه قسم من الله , عمرك: حياتك , أقسم الله بحياة النبي ﷺ .

لكن هنا ليس قسما ؛ لأن الإمام أحمد لا يقسم بغير الله , ولعمري: يؤتى بها لتأكيد الكلام , يذكرها العلماء دائما: ابن القيم يذكر لعمري دائما , وجاءت أيضا في كلام عائشة –رضي الله عنها–

في كلام البخاري: أن في "سورة يوسف" أنها قالت: لعمري في "آخر تفسير سورة يوسف" في "صحيح البخاري" , وجاءت أيضا كلمة "لعمري" في حديث في "سنن ابن ماجه" , فلعمري ليست قسما وليست حلفا , وإنما هي لتأكيد الكلام.

ولأن القسم لا يكون إلا بحروف القسم: (الواو والباء والتاء, والله وبالله وتالله , والهمزة) فإذن ليست هذه قسما , وإنما المراد تأكيد الكلام , كما قالت عائشة -رضي الله عنها- في تفسير "سورة يوسف" عند البخاري , وكما جاء في "سنن ابن ماجه" , وسيأتي أيضا مرة أخرى , الإمام أحمد يقول "لعمري" أيضا. نعم.

القرآن ليس شيئا

فقلنا: إن الله سبحانه لم يسم كلامه في القرآن شيئا , إنما سمى شيئا الذي كان في قوله , ألم تسمع إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ﴾ فالشيء ليس هو قوله , إنما الشيء الذي كان في قوله , وقال في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ﴾ فالشيء ليس هو أمره , إنما الشيء الذي كان بأمره .

هذا الوجه الأول من وجهي الرد , الإمام أجاب على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: أن الله لم يسم كلامه شيئا , ما سمى كلامه شيئا , إنما سمى الشيء الذي كان في قوله , لم يسم الله كلامه شيئا , إنما سمى الشيء الذي كان في قوله ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يخلق بالكلام: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ فقلنا: إن الله سبحانه لم يسم كلامه في القرآن شيئا , إنما سمى شيئا الذي كان بقوله , ألم تسمع إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا

لِشَيۡءٍ ﴾ الشيء هذا كان بالقول , فالذي سمي شيئا هو الذي وجد بالقول , الذي خلق بالقول هو الشيء , وأما كلام الله فلم يسمه شيئا , لكن سمى الشيء الذي كان بقول الله .

الله تعالى يخلق الشيء بأي شيء ؟ بقوله وكلامه: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ كن: هذا كلام الله , فيكون: هذا الشيء الذي خلق بكن , واضح هذا ؟

إذن الوجه الأول: أن الله لم يسم كلامه شيئا , ولم يسم قوله شيئا , لكن سمى الشيء الذي وجد بقول الله , إنما سمى شيئا الذي كان وخلق وأوجد بكلام الله , وقوله: " الله تعالى يخلق بالكلام " فالذي يخلقه: هو الشيء , لكن كلام الله ليس شيئا , ما سمى الله كلامه شيئا , لكن سمى الذي وجد بكلام الله هو الذي سماه شيئا , واضح الوجه الأول ؟ أعد حتى يتضح ؟

فقلنا: إن الله سبحانه وتعالى لم يسم كلامه في القرآن شيئا , إنما سمى شيئا الذي كان بقوله , ألم تسمع إلى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ ﴾ الشيء ليس هو قوله إنما الشيء الذي كان بقوله , وقال في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا ﴾ فالشيء ليس هو أمره إنما الشيء الذي كان بأمره .

فالشيء ليس هو أمره , إنما الشيء الذي كان , يعني وجد بأمره: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ وين الأمر ؟ كن: هل هذا الشيء ؟ لا , الشيء ليس هو أمره , إنما الشيء الذي كان بأمره ,: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ يكون هذا: كان بأمر الله , فيكون هذا: هو الشيء: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا ﴾ فالشيء ليس هو أمره , إنما الشيء الذي كان بأمره , واضح هذا ؟ نعم.

الشيء لا يطلق إلا على المخلوق

ومن الأعلام والدلالات -يعني العلامات والدلالات-: أنه لا يعني كلامهم على الأشياء المخلوقة قوله ﷻ في الريح التي أرسلها على عاد: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها , منازلهم ومساكنهم والجبال التي بحضرتهم فأتت عليها تلك الريح و لم تدمرها , وقد قال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فكذلك إذا قال: ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه على الأشياء المخلوقة .

إذن هذا -يقول الإمام رحمه الله- مما يؤيد أن كلام الله لا يدخل مع الأشياء المخلوقة , وإن كان الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لكن ما يدخل كلام الله في شيء , المراد: خالق كل شيء مخلوق , وكلام الله صفة من صفاته , فالله بأسمائه وصفاته هو الخالق , وما سواه مخلوق , تقول: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ما يدخل في كل شيء كلام الله لأنه صفة من صفاته , واضح هذا ؟

قال: هناك دليل , ما هو الدليل ؟ أن الله تعالى لما قال في الريح التي أهلكت عادا: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ كل شيء , هناك أشياء ما دمرتها الريح , ما هي ؟ مساكنهم ؛ ولهذا قال: ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ ﴾ مساكنهم ما دمرت , والجبال التي حولهم ما دمرت , السماء ما دمرت , الأرض ما دمرت .

إذن ما معنى تدمر كل شيء ؟ قال العلماء: تدمر كل شيء يصلح للتدمير , أو يقبل التدمير عادة , وأما ما لا يقبل التدمير عادة , أو لا يصلح للتدمير ؛ فلم يدخل في هذا العموم , فكذلك إذا قال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ المراد: خالق كل شيء مخلوق , ولا يدخل في ذلك كلام الله , واضح هذا ؟ نعم .

شيء لا تفيد العموم المطلق

وقال لملكة سبأ: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقد كان ملك سليمان شيئا و لم تؤته , وكذلك إذا قال: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لا يعني كلامهم الأشياء المخلوقة .

وقال لملكة سبأ , قال الله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كل شيء , هل العموم يخرج منه شيء ولا ما يخرج ؟ ما يخرج منه , ملك سليمان شيء من الأشياء و لم تؤته ملكة سبأ , فكذلك إذا قال الله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ليس معنى ذلك أنه تدخل صفات الله , لا تدخل كلام الله مع الأشياء المخلوقة.

نعم كلام العلماء: خالق كل شيء مخلوق , يعني خالق كل شيء , هذا العموم: المراد به الأشياء المخلوقة , ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته , نعم.

الأدلة على أن صفات الله لا تدخل في عموم الأشياء

وكذلك إذا قال: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لا يعني كلامهم على الأشياء المخلوقة , وقال الله لموسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾ وقال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ وقال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ ثم قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ .

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت , وقد ذكر الله ﷻ نفسه , وكذلك إذا قال: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ؛ ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله -عز وجل .

نعم , كل هذه الآن أمثلة وأدلة تدل على أن كلام الله وصفاته لا تدخل في قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يقول الله تعالى قال: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ فيه إثبات النفس لله ﷻ وأن لله نفسا قال: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ فيه إثبات النفس لله ﷻ لكن نفس الله ليست كنفس المخلوقين , وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾ إثبات النفس لله , وقال: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ .

إذن هذه الآيات دلت على إثبات النفس لله لما قال الله: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ كل نفس ذائقة الموت: هل يدخل في ذلك نفس الله تعالى ؟ الله قال ؛ فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت , المراد: الأنفس المخلوقة , أما نفس الله: فالله تعالى هو الخالق ؛ فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت , فكذلك إذا قال الله: ﴿ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ لا يدخل في هذا العموم نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة , فالمراد: خالق كل شيء مخلوق , وأما كلام الله وعلمه ونفسه فلا يدخل في هذا , واضح هذا ؟ نعم .

وجوب التوبة من القول بخلق القرآن

قال الإمام أحمد –رحمه الله– فرحم الله من ذكر, ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة , و لم يقل على الله إلا الحق .

هذا دعاء من الإمام يدعو لمن فكر ورجع عن القول الباطل الذي يخالف الكتاب والسنة و لم يقل على الله إلا الحق .

ما هو القول الباطل الذي يخالف الكتاب والسنة ؟ القول بأن القرآن مخلوق , هذا قول باطل , يقول: فرحم الله من رجع عن هذا القول الباطل , وهو القول بأن القرآن مخلوق , و لم يقل على الله إلا الحق ؛ فإن الله أخذ ميثاق خلقه , نعم .

ادعاء خلق القرآن قول بغير علم

فإن الله قد أخذ ميثاق خلقه فقال: ﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ .

الشاهد بأن الله تعالى حرم القول عليه بلا علم وجعله فوق الشرك: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ فجعل القول على الله بلا علم فوق الشرك .

ومن قال: إن القرآن مخلوق ؛ فقد قال على الله بغير علم , فيكون قد ارتكب أعظم الجرائم , نسأل الله العافية , نعم .

القول بخلق القرآن كذب على الله

وقد حرم الله أن يقال عليه الكذب , وقد قال: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ ﴾ أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين .

يعني: ومن قال إن القرآن مخلوق فقد كذب على الله , وهو داخل في هذا الوعيد , وهو قوله: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ فهو متوعد بأن يسود وجهه يوم القيامة , أعوذ بالله . نعم .

القرآن كلام الله

وقد ذكر الله كلامه في غير موضع من القرآن فسماه كلاما و لم يسمه خلقا .

هذا هو الوجه الثاني من الرد: أن الله سمى القرآن كلاما و لم يسمه خلقا , وإذا كان الله تعالى سماه كلاما و لم يسمه خلقا ؛ فلا يكون داخلا في قوله سبحانه:

﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فلا يكون مخلوقا ومن قال إن القرآن مخلوق فقد كذب على الله وأعظم على الله الفرية .

وسيأتي أيضا أن الإمام وغيره يقول: إن من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر , يعني على العموم , أما الشخص المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة , إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع , لكن على العموم: من قال القرآن مخلوق فهو كافر , من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر .

هكذا أطلق الأئمة العلماء -الإمام أحمد وغيره-: كل من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر , لكن فلان بن فلان إذا قال إن القرآن مخلوق هل يكفر ؟ نقول: إذا قامت عليه الحجة , إذا قامت عليه الحجة , ووجدت الشروط , وانتفت الموانع , قد يكون جاهلا ما يدري فلا بد أن يعلم , قد يكون عنده شبهة فلا بد أن تكشف الشبهة , فإن زال الجهل وزالت الشبهة وأصر ؛ حكم بكفره , واضح هذا ؟ هذا الشخص المعين .

أما على العموم نقول: كل من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر , نعم يشترط فيه ألا يكون جاهلا بمعنى هذه الكلمة معلوما , لا يقيم عليه الحجة إلا إنسان يعرف , لكن الجاهل ما يقيم الحجة ما يلزم .

هذا المهم: أن يعرف هذه المسألة , هذا الوجه الثاني , الوجه الثاني: أن الله سمى القرآن كلاما و لم يسمه خلقا , وسيأتي سيذكر المؤلف الإمام -رحمه الله- أمثلة من القرآن تدل على أن الله سمى القرآن كلاما و لم يسمه خلقا . نعم .

تكرار ذكر أن القرآن كلام الله

وقد ذكر الله كلامه في غير موضع من القرآن , فسماه كلاما و لم يسمه خلقا قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ .

هذا الشاهد: كلمات , قال: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾ و لم يقل: تلقى آدم من ربه خلقا , سماه كلمات . نعم .

وقال: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ .

و لم يقل: يسمعون خلق الله , سماه كلام الله , سماه كلاما و لم يسمه خلقا . نعم .

وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ .

الشاهد: وكلمه ربه , سماه كلاما و لم يسمه خلقا . نعم .

وقال: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى ﴾ .

الشاهد: وبكلامي , و لم يقل: وبخلقي . نعم .

وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

كلم الله موسى تكليما: سماه كلاما , نعم .

وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ .

الشاهد: وكلماته , سماه كلاما, نعم .

فأخبرنا الله تعالى أن النبي ﷺ كان يؤمن بالله وبكلام الله .

يؤمن بالله وبكلام الله , و لم يقل: بخلق الله , نعم .

وقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ ﴾ .

هذا الشاهد: قال يريدون أن يبدلوا كلام الله , و لم يقل: خلق الله . نعم .

وقال: ﴿ لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾ .

الشاهد: كلمات ربي .

وقال: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ و لم يقل: حتى يسمع خلق الله , فهذا منصوص بلسان عربي مبين , لا يحتاج إلى تفسير , وهو مبين بحمد الله .

الشاهد: كلام الله , و لم يقل: حتى يسمع خلق الله , نعم . الحمد الله نعم .

استدلال الإمام أحمد على بطلان القول بخلق القرآن

(باب) وقد سألت الجهمي: أليس إنما قال الله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ .

هذا الباب: استدل فيه الإمام أحمد –رحمه الله– على أن القرآن كلام غير مخلوق من وجهين:

الوجه الأول: أن الله أمرنا بأقوال ليس منها أن نقول: إن كلام الله مخلوق , هذا الوجه الأول , الوجه الأول: أن الله أمرنا بأقوال ليس منها أن نقول: إن كلام الله مخلوق , نعم .

والوجه الثاني: أن الله نهانا عن أشياء ليس منها أن نقول: إن القرآن كلام الله , إذن هذا الباب استدل به الإمام على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من وجهين , الوجه الأول: أن الله أمرنا أن نقول أقوالا وليس من هذه الأقوال أن نقول إن كلام الله مخلوق , نعم .

أمر الله بالقول الحسن

وقد سألت الجهمية: أليس إنما قال الله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ هذا أمرنا بأن نقول آمنا بالله , ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ أمرنا بأن نقول للناس حسنا , قولوا , و لم يقل: قولوا إن كلام الله مخلوق , نعم .

أمرنا الله بأقوال ليس منها القول بخلق القرآن

﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ ﴿ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ ﴾ .

أمرنا بأن نؤمن , وأمرنا بأن نقول قولا سديدا , نعم .

أمرنا الله بأقوال ليس منها القول بخلق القرآن

﴿ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ .

- وقولوا اشهدوا بأنا مسلمون- , نعم .

وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ .

- أمرنا أن نقول الحق- .

وقال: ﴿ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ .

- أمرنا أن نقول سلام- .

و لم نسمع الله يقول: قولوا إن كلامي خلق .

- إذن: الله تعالى أمرنا بأقوال , وليس من هذه الأقوال أن نقول: إن كلام الله مخلوق ؛ فدل على أن القرآن كلام الله .

الأمر الثاني , أو الوجه الثاني: أن الله نهانا عن أشياء , وليس من هذه الأشياء التي نهانا عنها أن نقول: إن القرآن كلام الله , ما قال لا تقولوا إن القرآن كلام الله ؛ فدل على أن القرآن كلام الله , نعم .

شبة عدم النهي عن القول بخلق القرآن

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ ﴾ .

- هذه النواهي: فيها نواه في القرآن ليس منها أن نقول إن القرآن كلام الله , نهانا قال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ ﴾ نعم: هذه جواب على الشبهة مباشرة.

وهذان الوجهان: استدلال على أن القرآن كلام الله غير مخلوق , يعني: أن الوجهين السابقين جواب على الشبهة , رد على الشبهة مباشرة , واضح هذا ؟

الشبهة: قالوا إن القرآن شيء وليس بشيء , وهذان وجهان يبين فيهما المؤلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق تكون مؤيدة للوجهين , ولو قيل: ضم هذين الوجهين مع الوجهين السابقين ؛ صارت أربعة وجوه كلها رد , تصلح ردا , ما فيها مانع , لكن المؤلف جعلها وجهين مستقلين .

نواهي القرآن ليس فيها النهي عن القول بخلق القرآن

وقال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۚ ﴾ .

- كل هذه نواه: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ﴾ ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۚ ﴾ ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ - نعم .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ نعم , ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا ﴾ .

- يعني: الوالدين- , نعم .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ .

- هذا نهي: لا تقف- , نعم .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ .

- نهي: لا تدعوا- , نعم .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ .

- نهي عن القتل- , نعم .

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ .

-كذلك- .

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ .

- نهي عن قتل النفس- , نعم .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

- نهي عن قربان مال اليتيم- .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ .

ومثله في القرآن كثير , فهذا مما نهى الله عنه , و لم يقل لنا: لا تقولوا إن القرآن كلامي .

- يعني: هذه نواه كثيرة , فلو كان القرآن ليس كلام الله لنهانا مثل هذه النواهي ؛ لقال: لا تقولوا إن القرآن كلامي , فلما لم ينهنا الله عن ذلك ؛ دل على أنه ليست من الأمور المنهي عنها .

كما أن الأمر الأول: وهو أمرنا بأقوال وليس منها أن نقول: إن كلام الله مخلوق , فلو كان كلام الله مخلوقا ؛ لأمرنا أن نقول: إن كلام الله مخلوق , فلماذا تأتي أوامر كثيرة وليس منها أن نقول: إن القرآن مخلوق ؟ وتأتي نواه كثيرة وليس منها أن ينهانا أن نقول: إن القرآن كلام الله ؟

فلما لم يأمرنا أن نقول: إن كلام الله مخلوق , و لم ينهنا أن نقول: إن القرآن كلام الله ؛ دل على أن القرآن كلام الله .

الملائكة تسمي القرآن كلام الله

وقد سمت الملائكة كلام الله كلاما و لم تسمه خلقا , قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

– الملائكة سمت كلام الله كلاما و لم تسمه خلقا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ﴾ و لم يقولوا: ماذا خلق ربكم .

– وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي , ما بين عيسى وبين محمد ﷺ كذا وكذا سنة.

فلما أوحى الله إلى محمد ﷺ سمعت الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا؛ فظنوا أنه أمر من أمور الساعة, ففزعوا وخروا لوجوههم سجدا, فذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ يقول: حتى إذا انجلى الفزع عن قلوبهم رفعت الملائكة رءوسهم, فسأل بعضهم بعضا فقالوا: ماذا قال ربكم؟ و لم يقولوا: ماذا خلق ربكم؛ ففي هذا بيان لمن أراد الله هداه.

نعم، نعم، سبق في الحديث: ﴿ إذا تكلم الله بالوحي سمعه جبريل فصعق جبريل وتصعق الملائكة، ثم يتخابر الملائكة فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق ﴾ سمعوا كلام الله، فزعوا وصعقوا لقول الله، ثم يتخابر الملائكة: ماذا قال ربكم؟ فيقول: قال الحق. نعم.

كوقع الحديد على الصفا، يعني الصوت المسموع من كلام الله، هذا تشبيه للصوت المسموع من كلام الله، من باب التقريب، ليس المراد أن كلام الله كالحديد على الصفا، بل المراد تشبيه الصوت

المسموع من كلام الله، ليس المراد تشبيه كلام الله بالحديد ولا بالصوت، صوت الحديد، وهذا تشبيه للصوت المسموع كأنه يشبهه في القوة يعني الصوت المسموع من كلام الله. نعم.

شبهة أن القرآن محدث

باب آخر قال الإمام أحمد ﷺ ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر.. .

هذه الشبهة الرابعة على الجهمية، على أن القرآن مخلوق، وهي شبهة شرعية، هذه الشبهة الرابعة. نعم.

ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر، فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق، فقلنا: في أي آية؟ فقال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ فزعم أن الله قال للقرآن: محدث، وكل محدث مخلوق. فلعمري لقد شبه على الناس بهذا، وهي آية من المتشابه .

إذن الشبهة، الجهمي أتى بشبهة شرعية، آية من القرآن، وهي قول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ قال: إن الله أخبر أن القرآن محدث، وكل محدث مخلوق، هذه في آية الأنبياء.

وفي آية الشعراء: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ آية الأنبياء: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ وآية الشعراء: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ ﴾ .

الإمام –رحمه الله– قال: فلعمري لقد شبه على الناس، يأتي عمري مرة ثانية، لعمري، تأكيد، يعني إنها شبهة قوية، فلعمري إنها لشبهة قوية، فلعمري لقد شبه على الناس بهذا، وهي آية من المتشابه، لا شك أنها تشتبه على كثير من الناس؛ ولذلك الجواب يحتاج إلى تأمل.

والإمام أحمد –رحمه الله– له جواب على هذه الشبهة الآن، فنستعرض الآن جواب الإمام، الآن في صفحتين ونصف، ثم بعد ذلك نستعرض جواب الإمام البخاري في صحيحه، أو جواب آخر على هذه الشبهة، الإمام أحمد له جواب، والبخاري له جواب، وكل من الجوابين حق. نعم.

استدراج الخصم

قلنا في ذلك قولا، واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا يدل على أيش؟ على أن الأمر، على أن الشبهة قوية؛ ولذلك قال الإمام أحمد –رحمه الله–: "فقلنا في ذلك قولا، واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله". نعم.

الشيئان إذا اجتمعا في اسم يجمعهما

اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسمين يجمعهما، فصار أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم أو اسم دني، فأدناهما أولى به.

إذن هنا القاعدة: أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، وأحدهما أعلى من الآخر، إذا اجتمع شيئان في شيء، وأحدهما أعلى من الآخر، فإذا جرى عليهما اسم مدح كان المدح ينصرف إلى الأعلى، وإذا جرى عليهما اسم ذم كان الذم ينصرف إلى الأدنى، واضحة القاعدة الآن؟

القاعدة أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، وكان أحدهما أعلى من الآخر، فإذا جرى عليهما اسم مدح ينصرف إلى الأعلى، وإذا جرى عليهما اسم ذم ينصرف إلى الأدنى.

وسيضرب لهذا أمثلة -المؤلف رحمه الله- تنظيرية، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجواب على الآية: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ وكلمة "محدث" تشمل كلام الله، وكلام الرسول -عليه الصلاة والسلام-، سيدخل فيها الأمران، فالحدث جرى عليهما اسم ذم، وهو الحدث، ينصرف إلى من؟

ينصرف إلى كلام الرسول، لا إلى كلام الله، واضحة القاعدة الآن؟ سيضرب الأمثلة -وهذا باختصار- الآن، الشيئان إذا اجتمعا في شيء، في اسم، اجتمع شيئان في اسم يجمعهما، وأحدهما أعلى من الآخر، إن جرى عليهما اسم مدح انصرف إلى الأعلى، وإن جرى عليهما اسم ذم انصرف إلى الأدنى.

هات الآية: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ الذكر محدث، ما هو الذكر؟ قال: يدخل في هذا الاسم يشمل شيئين، يشمل ذكر الله، وذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام-، جرى عليهما اسم ذم وهو الحدث، ينصرف إلى ذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن الرسول هو المخلوق، وكلامه مخلوق، ولا يدخل في ذلك كلام الله، هذا خلاصة أيش؟ الجواب الذي أجاب به المؤلف في صفحتين ونصف، الآن الإمام -رحمه الله-، وسيأتي جواب الإمام البخاري. نعم.

أمثلة على شيئين اجتمعا في اسم يجمعهما

ومن ذلك قول الله في كتابه... .

اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذم أو اسم دني فأدناهما أولى به، ومن ذلك قول... .

هذه أمثلة توضيحية قبل الجواب على الآية، يجيب المؤلف لنا ثلاثة أمثلة توضيحية.. نعم.

ومن ذلك قول الله في كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ ... .

هذا المثال الأول، والمثال الثاني: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ نعم.

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأبرار دون الفجار، فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان واسم العباد فالمعنى في قول الله جل ثناؤه: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأبرار دون الفجار .

كلمة عباد الله، العبودية العامة يدخل فيها الكافر والمؤمن، أليس كذلك؟ فإذا قال: ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ عباد الله الكفار والمؤمنون أيهم؟ ينصرف إلى من؟ ينصرف إلى المؤمنين، لماذا؟ بدليل قوله -تعالى- في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ ﴾ .

فإذن ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ المؤمنون، ولا يدخل الكفار، وإن كانوا عباد الله، وإن كانوا عبيدا لله، معبدين، لكن ما يدخلون، جرى اسم مدح ينصرف إلى من؟ ينصرف إلى أعلاهما، إلى المؤمنين، عباد الله دخل فيه صنفان المؤمنون والكفار، وأعلاهما من؟ المؤمنون، وهذا اسم مدح؛ فينصرف إلى الأعلى، وهم الأبرار، بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ ﴾ نعم.

لقوله إذا انفرد الأبرار: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ ﴾ وإذا انفرد الفجار: ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ ﴾ .

هذا الدليل على أن المراد بقوله "عباد الله": المؤمنون؛ لأن الأبرار إذا انفردوا مُدحوا، والفجار إذا انفردوا ذُموا؛ فتنصرف إلى الأعلى وهم الأبرار. نعم.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس؛ لأن المؤمن إذا انفرد أُعطي المدح؛ لقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ كلمة "الناس" تشمل من؟ المؤمن والكافر، لكن المراد به هنا ﴿ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ المراد المؤمنين خاصة لماذا؟ لأن المؤمن إذا انفرد أُعطي المدح؛ لقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ فلما كان الناس يشمل شيئين: الكفار والمؤمنين، وكان اسم مدح انصرف إلى الأعلى دون الأدنى. نعم.

وإذا انفرد الكفار أجري عليهم اسم الذم لقوله: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ وقال: ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة .

هذا هو السبب، جعلنا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ خاصة بالمؤمنين؛ لأن الكفار إذا انفردوا أجري عليهم اسم الذم ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ نعم.

وفي قوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

هذا المثال الثالث: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ العباد يشمل من؟ المؤمنين والكفار، البغي اسم ذم أم اسم مدح؟ ﴿ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ اسم ذم، إذن ينصرف إلى الكفار، لا ينصرف إلى المؤمنين، اجتمع الكفار والمؤمنون في لفظ "عباد الله".

لكن لما جرى اسم ذم انصرف إلى الأدنى وخرج الأعلى؛ لأن المؤمنين إذا انفردوا ما يبغون في الأرض، بل يجري عليهم اسم المدح إذا بسط الله لهم الرزق، المؤمنون ماذا؟ يؤدون حق الله، يؤدون الزكاة، ويصلون الرحم، ويؤدون حقوق الله، بخلاف الكفار؛ فإنهم يبغون في الأرض؛ فلهذا صار اسم الذم عليهم. نعم.

فاجتمع المؤمنون والكفار في اسم "العباد"، والكفار أولى بالبغي من المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومُدحوا فيما بُسط لهم من الرزق، وهو قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ وقوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وقد بسط الله لداود وسليمان بن داود، ولذي القرنين، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ومن كان على مثالهم ممن بسط الله له فلم يبغ . ومن كان على مثالهم ممن بسط الله له فلم يبغ، وإذا انفرد الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ ونمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج في ربه، وفرعون حين قال موسى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فلما اجتمعوا في اسم واحد، فجرى عليهم اسم البغي كان الكافر أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح .

واضح هذا؟ فلما اجتمعوا في اسم واحد وهو قوله "لعباده"، فجرى عليه اسم البغي، كان الكافر أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدح، هذه كلها أمثلة توضيحية، بعد ذلك سيأتي إلى الجواب على الآية: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ طبِّق على الآية ما طبقت على الأمثلة السابقة. نعم.

رد شبهة حدوث القرآن

فلما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ فجمع بين ذكرين، ذكر الله وذكر نبيه ﷺ فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ ؟

فإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ فذكر النبي ﷺ له عمل، والله له خالق ومحدث .

واضح الآن؟ يقول الإمام: فلما قال الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ جمع بين ذكرين: ذكر الله وذكر نبيه، ذكر يعني: ذكر الله وذكر نبيه، فأما ذكر الله إذا انفرد فلا يجري عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ ؟

فإذا انفرد ذكر النبي جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ؟ فذكر النبي اسم له عمل، والله له خالق ومحدث.

إذن فقوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ المراد به أيش؟ ذكر النبي ﷺ لا ذكر الله الذي هو القرآن، فالحدث الذي هو الخلق وقع على ذكر النبي، و لم يقع على ذكر الله. نعم.

الدليل على بطلان شبهة الحدوث

والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلِّغ ومذكِّر، وقال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

إذن يقول: "الدليل على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا"، يعني عند إتيانه إيانا، عند إتيانه إيانا، من الذي أتانا به؟ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء -يعني بالأخبار- عن الله إلا مبلغ ومذكر؛ فالرسول هو المبلغ ﷺ ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ إذن من المذكر ؟ الرسول ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

إذن الرسول -عليه الصلاة والسلام- حينما أتانا بالأنباء إذن هو مذكِّر، هذا ذكر أتى به الرسول من عند الله ﷻ فالحدث يقع على الذكر الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام-، يقع على أيش؟ الحدث يقع على الذكر عند إتيانه إيانا، وعند إتيانه إيانا إنما جاء به محمد ﷺ واضح هذا؟ نعم.

التوجيه الصحيح للآية

فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي ﷺ إذا انفرد وقع عليه اسم خلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله .

"فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث"، لما اجتمعوا -ذكر الله وذكر النبي- جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم خلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث.

ذكر الله إذا انفرد ما يقع عليه اسم خلق ولا اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد ﷺ وقع عليه اسم الخلق والحدث، فقال: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ المراد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه حينما أتى به من عند الله ذكَّر، ذكَّر بقوله وبكلامه. نعم.

القرآن محدث بالنسبة إلى النبي

وذكر النبي ﷺ إذا انفرد وقع عليه اسم خلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله تعالى الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث، فوجدنا دلالة من قول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ إنما هو محدث إلى النبي ﷺ .

فهو محدث بالنسبة إلى النبي ﷺ بالنسبة إلى النبي محدث، بالنسبة إلى الله ﷻ ليس محدثا، فقوله: "محدث" يعني بالنسبة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه علمه الله إياه بعد أن لم يكن عالما به، فلما علَّمه الله قبل أن يكون عالما به صار حادثا بالنسبة إليه، بالنسبة إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- فهو محدث بالنسبة إلى الرسول. نعم.

الخلق يقع على ذكر الرسول

إنما هو محدث إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن النبي ﷺ كان لا يعلم، فعلَّمه الله، فلما علمه الله كان ذلك محدثا إلى النبي ﷺ .

لأن النبي ﷺ كان لا يعلم يعني أولا كان لا يعلم فعلمه الله فلما علمه الله كان ذلك محدثا إلى النبي ﷺ واضح الآن جواب الإمام -رحمه الله- ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ يعني اجتمع في حدث كلام الله وكلام الرسول ﷺ فالحدث يقع على كلام الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه أجاب جوابا آخر، وقال: إن ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ هذا كلام الله، ولكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين؛ لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

فالبخاري -رحمه الله- بوّب في صحيحه فقال في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ وقول الله تعالى: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ تُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين؛ لقول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

وقال ابن مسعود -رضى الله عنه-: عن النبي ﷺ ﴿ إن الله ﷻ يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تتكلموا في الصلاة ﴾.

ثم ذكر حديث ابن عباس -رضي الله- عنهما: ﴿ كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدا بالله، تقرءونه محضا لم يشب؟ ﴾ ولفظ الطريق الأخرى قال: ﴿ يا معشر المسلمين؛ كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب؟ ﴾.

فإذن جواب الإمام البخاري مبني على أي شيء؟ مبني على أن الله تعالى يتكلم إذا شاء، وأن أفراد كلام الله محدث، وأن القرآن كلام الله محدث، تكلم الله به وقت نزوله، وأن كتاب الله القرآن أقرب الكتب عهدا بالله، وأحدث الأخبار بالله، وأن الله يحدث من أمره ما يشاء، ويتكلم إذا شاء، وأن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين؛ لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

فإذن كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، أفراد الكلام حادثه، ولكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، نوع الكلام قديم لم يزل له، لكن أفراد الله، أفراد الكلام حادثة.

لما جاءت المجادلة خولة بنت حكيم، وجادلت النبي ﷺ تكلم الله وأنزل: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ .

والله تعالى يكلم يوم القيامة الناس، يكلم آدم، ويكلم أهل الجنة، ينادي: يا آدم، يقول: لبيك وسعديك، فهذا أفراد كلام الله حادثة، لكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، واضح هذا؟ فكلام الله قديم النوع، حادث الآحاد.

جواب الإمام أحمد -رحمه الله- فهم من قوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ مخلوق، قال: إن الخلق يقع على كلام رسول الله، ولا يقع على كلام الله.

الإمام البخاري فهم من قول: "محدث" يعني حدث لا يشبه حدث المخلوقين، لا يشبه حدث المخلوقين. حدث المخلوقين مخلوق، وحدث كلام الله ليس بمخلوق.

الحافظ ابن كثير يقول على قوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ أي جديد إنزاله، قول الحافظ ابن كثير الآن يتمشى مع جواب الإمام أحمد، أو يتمشى مع جواب البخاري؟

نعم جديد إنزاله يعني حدث يحتمل، قد يقال: يتمشى مع الجوابين، إذا قلنا جديد إنزاله، يعني: إنزاله جديد، فالحدث بالنسبة لأيش؟ بالنسبة للمخلوقين الذين سمعوه ويحتمل، ويوافق كلام الإمام البخاري جديد إنزاله، يعني أفراد كلام الله حادثة.

فالمقصود أن الإمام أحمد فهم من الآية: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ مخلوق، فقال: إن الآية اجتمع فيها ذكرين: ذكر الله وذكر الرسول، والخلق يقع على ذكر الرسول.

والإمام البخاري قال: إن الحدث هنا يرجع إلى كلام الله، لكن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، فكلام الله صفة من صفاته، فهو قديم النوع، حادث الآحاد، هو يتكلم إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء

-سبحانه وتعالى-، لا أحد يحصل عليه، ونوع الكلام قديم، لم يتجدد له، و لم يزل الله يتكلم، ولا يزال يتكلم إذا شاء، وإن كانت أفراد كلام الله حادثة، إلا أن حدث الله لا يشبه حدث المخلوقين. نعم.

شبهة تسمية عيسى بكلمة الله

باب، ثم إن الجهمي ادعى أمرا... .

هذه الشبهة الخامسة للجهمية، شبهة خامسة للجهم على أن القرآن مخلوق، هذه الشبهة الخامسة، وهي شبهة شرعية أيضا. نعم.

ثم إن الجهمي ادعى أمرا فقال: إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق. فقلنا: أي آية؟ فقال: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ .

هذه الشبهة، استدل بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ وجه الدلالة قال: إن الله سمى عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فدل على أن كلام الله مخلوق، واضحة الشبهة؟

يقول الجهمي: إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ سمى الله عيسى كلمة، وعيسى مخلوق، فدل على أن كلام الله مخلوق، سمى الله عيسى كلمته، عيسى كلمة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ﴾ عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فكلام الله مخلوق. نعم.

تخطئة جهم في فهم القرآن

وعيسى مخلوق، فقلنا: إن الله منعك الفهم في القرآن .

هنا اشتد الإمام أحمد –رحمه الله–، دعا عليه قال: إن الله منعك الفهم يا جهم، إن الله منعك الفهم في القرآن، منعك؛ عقوبة له؛ لأنه أعرض وتصابب عن الحق، فمنعه الله الفهم، إن الله منعك الفهم يا جهم في القرآن؛ عقوبة له. عيسى.. هذا الجواب، جواب الشبهة. نعم.

رد شبهة جهم

عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن؛ لأنه يسميه مولودا، وطفلا، وصبيا، وغلاما، يأكل ويشرب، وهو مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى.

هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟ ولكن المعنى في قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له "كن" فكان، فكان عيسى بـــ "كن"، وليس عيسى هو "كن"، ولكن بـــ "كن" كان، فـــ "الكن" من الله قول، وليس الـــ "كن" مخلوقا... .

إذن الجواب: يقول الإمام –رحمه الله–: إن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، فالله تعالى سمى عيسى مولودا، قال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ فسماه مولودا، وسماه طفلا، وصبيا، وغلاما، يأكل ويشرب، مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد.

ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ثم من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول، نقول عيسى تجري عليه هذه الألفاظ، ولا تجري على القرآن.

هل تجري على القرآن إذ قال: القرآن مولود، وطفل وصبي وغلام، ويأكل ويشرب، ومخاطب بالأمر والنهي، من ذرية كذا وكذا؟ لا، هذه ألفاظ تجري على عيسى، ولا تجري على القرآن، فعيسى مولود وطفل وصبي، وغلام يأكل ويشرب، مخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، ثم هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟

ولكن المعنى، معنى الآية التي استدللت بها أيها الجهمي، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: "كن"، إنما المسيح عيسى ابن مريم وكلمته، يعني أن الله خلق عيسى بالكلمة، "كن" ليس عيسى، هو الكلمة، عيسى مخلوق بالكلمة، قال الله له: "كن" فكان.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ عيسى مخلوق بالكلمة، قال الله له: "كن" فوجد عيسى، ليس عيسى الكلمة، بل هو مخلوق بكلمة "كن"، فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: "كن" فكان عيسى بـــ "كن"، وليس عيسى هو "كن" الكلمة، ولكن بـــ "كن" كان خلق من الله، قول وليس الـــ "كن" مخلوقا، أعد السطر هذا.

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: "كن" فكان عيسى ... .

الكلمة التي ألقاها إلى مريم ما هي؟ "كن" لما ألقى الله كلمة "كن" وجد عيسى، فكان عيسى، اقرأ فكان عيسى

فكان عيسى بـــ "كن"... .

فكان عيسى بـــ "كن"، يعني فوجد عيسى، بكلمة "كن" كان عيسى، يعني وجد عيسى بكلمة "كن". نعم.

وليس عيسى هو "كن"... .

وليس عيسى هو "كن"، ليس عيسى هو الكلمة كما تقوله النصارى. نعم.

ولكن بـــ "كن" كان... .

ولكن بـــ "كن"، بكلمة "كن" كان، يعني وجد عيسى، ولكن بـــ "كن"؛ بكلمة "كن" كان أي وجد عيسى. نعم.

فالـــ "كن" من الله .

فالـــ "كن" من الله قول، وليس الـــ "كن" مخلوقة، "كن" من الله قول، وليست مخلوقة.

بعد ذلك ذكر المؤلف الإمام -رحمه الله- ثلاثة أقوال في عيسى: قول النصارى، وقول الجهمية، وقول المسلمين، ثلاثة طوائف.

الجهمية قالوا: عيسى هو روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة، كلمة "كن" مخلوقة.

والنصارى قالوا: عيسى جزء من الله، هو نفس الكلمة، ليس مخلوقا، ولكنه جزء من الله -نعوذ بالله-.

والمسلمون قالوا: عيسى خُلق بالكلمة.

ثلاث طوائف، لا بد تفرق بين المذاهب عندنا ثلاثة مذاهب: مذهب الجهمية، مذهب النصارى، ومذهب المسلمين. وذلك أن الجهمية اقرأ.

كذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى؛ وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة .

هذا مذهب الجهمية، قالوا: عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة، قالوا عيسى روح الله وكلمة الله، وكلمة الله مخلوقة، كلام الله مخلوق، فعيسى كلام الله، وكلام الله مخلوق، هذا مذهب من؟ الجهمية، عيسى روح الله وكلمته، إلا أن الكلمة مخلوقة. طيب.

وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمة الله من ذات الله، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب .

النصارى قالت: عيسى روح الله، وكلمة الله، قالوا: كلام الله صحيح، صفة من صفاته، لكن عيسى نفس الكلمة جزء من الله -نعوذ بالله-، قالوا: عيسى جزء من الله؛ لأن عيسى مكون من جزأين: جزء إلهي، وجزء بشري، جزء إلهي هذا الكلمة، وجزء بشري هذا اللحم والدم، فامتزج وصار شيئا واحدا يقال له المسيح -قبحهم الله-.

فإذن النصارى قالوا أيش ؟ عيسى روح الله وكلمة الله، إلا أن عيسى هو نفس الكلمة، فهو جزء من الله.

الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمة الله، إلا أن الكلمة مخلوقة. النصارى قالوا: لا الكلمة ليست مخلوقة، لكن عيسى جزء من الله، نفس الكلمة.

عيسى بالكلمة كان

وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة .

عيسى بالكلمة كان، يعني وجد وخلق، عيسى بالكلمة وجد، وليس عيسى هو الكلمة، هذا مذهب المسلمين.

فإذن هذا تجدون الاختصار الآن، كل مذهب سطر، لكن يعطي معنى؛ مذهب الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة. النصارى قالوا: عيسى روح الله وكلمة الله، إلا أن عيسى جزء من الله. والمسلمون قالوا: عيسى مخلوق بالكلمة، وليس هو الكلمة. عيسى مخلوق بالكلمة، كلمة "كن"، وليس هو الكلمة، كلام الله صفة من صفاته، خلق الله عيسى بكلمة "كن" فكان، واضح هذا. نعم.

الجهمية يقولون: عيسى روح الله وكلمته، إلا أن كلام الله مخلوق، عيسى كلمة الله وكلام الله مخلوق، هكذا يقولون. النصارى يقولون: عيسى كلمة الله وكلامه ليس بمخلوق، لكن عيسى جزء من الله نعوذ بالله. نعم.

معنى "عيسى روح الله"

وأما قول الله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يقول: من أمره كان الروح فيه .

ما معنى عيسى روح الله؟ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ إنما المسيح عيسى ابن مريم... وروح منه الآية ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ آية أيش؟ الآية التي سبقت. لا. ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ وأما قوله: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يعني يقول: من أمر الله كان الروح فيه، وروح منه يعني من أمر الله كان الروح في عيسى، وروح منه يعني من أمر الله كان الروح فيه، في قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ يعني من أمره.

تفسير روح الله معناه: روح من الأرواح التي خلقها الله، عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله بكلمة "كن"، وروح منه يعني: من أمر الله، وعيسى روح، سمي روح الله يعني: روح من الأرواح التي خلقها الله، وأضيف إلى الله للتشريف، كما يقال: عبد الله، وناقة الله، ورسول الله.

وعيسى روح الله، روح من الأرواح التي خلقها الله، وأضيف إلى الله للتشريف، فهو مخلوق بكلمة "كن"، فهو من الأرواح التي خلقها الله بكلمة "كن"، وقوله: ﴿ مِنْهُ ﴾ يعني: من أمره، من أمر الله خلقت هذه الروح.

وأما قوله الله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ .

في آية النساء كقولهم: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ روح منه، من أمره كان الروح فيه، فعيسى روح من الأرواح التي خلقها الله بأمره بكلمة "كن".

الإضافة إلى الله تشريف

يقول: من آمره، وتفسير روح الله إنما معناه: أنها روح بكلمة الله، خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله .

نعم عبد الله إضافة للتشريف، سماء الله إضافة مخلوق إلى خالقه، أرض الله إضافة مخلوق إلى خالقه، عيسى روح الله إضافة مخلوق إلى خالقه، واضح هذا؟ نعم.

شبهة خلق السموات والأرض وما بينهما في خلق القرآن

باب، ثم إن الجهمي ادعى أمرا آخر فقال... .

هذه الشبهة السادسة للجهمي، وهي عقلية للجهمي، الشبهة السادسة على أن القرآن مخلوق، على أن كلام الله مخلوق. نعم.

فقال: إن الله يقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماء أو في الأرض أو فيما بينهما، فشبه على الناس، ولبّس عليهم .

إذن الشبهة، شبهة الجهمي يقول: إن الله تعالى يقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ فيقول الله تعالى أن أيش؟ أن السماوات مخلوقة، والأرض مخلوقة، وما بينهما مخلوق، فالقرآن هذا هل هو في السماء، أو في الأرض، أو فيما بينهما؟

إن كان في السماء فهو مخلوق، وإن كان في الأرض فهو مخلوق، وإن كان بينهما فهو مخلوق؛ لأن الله خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما، فالقرآن أين يكون؟

إن كان في السماء فالله تعالى أخبر أنه خلق السماء، وإن كان في الأرض فالله تعالى أخبر أنه خلق الأرض، إن كان بينهما فالله أخبر أنه خلق ما بينهما، فالقرآن لا يخلو إما أن يكون في السماء أو في الأرض أو فيما بينهما، والأرض والسماوات وما بينهما مخلوقات، فالقرآن مخلوق ولا بد. واضحة الشبهة ؟ نعم.

رد شبهة خلق السموات والأرض وما بينهما

فقلنا له: أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق على المخلوق ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما؟ فقالوا: نعم. فقلنا: هل فوق السماوات شيء مخلوق؟ قالوا؟ نعم. فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق

السماوات مع الأشياء المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السماوات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة، ولم يسمها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السماوات والأرض وما بينهما.

وقلنا فيما ادعوا أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما، فقلنا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ والحق الذي خلق به السماوات والأرض هو قوله: إن الله يقول الحق قال: ﴿ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾ .

فالحق الذي خلق به السماوات والأرض قد كان قبل السماوات والأرض، والحق قوله وليس هو قوله مخلوقا .

إذن الجواب كان من وجهين: الوجه الأول قلنا: هل فوق السماوات شيء مخلوق؟ قالوا: نعم. فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السماوات مع الأشياء المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السماوات السبع: الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة ولم يسمها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة.

وإنما وقع الخبر من الله على السماوات والأرض وما بينهما، يعني يقول الإمام -رحمه الله-: هناك شيء فوق السماوات مخلوق، ولم يذكرها الله، ما هي الذي فوق السماوات؟ الكرسي فوق السماوات مخلوق، والعرش مخلوق، واللوح المحفوظ مخلوق، والحجب الذي احتجب الله بها عن خلقه، حجب كثيرة جاء فيها آثار كثيرة أن الله احتجب عن خلقه بأشياء: بظلمة، وبرد، وثلج، ونار، ونور، وأشياء كثيرة مخلوقة احتجب الله عن خلقه، فالحجب مخلوقه، واللوح المحفوظ مخلوق، والعرش مخلوق، والكرسي مخلوق، والسماوات مخلوقة.

فالله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ إنما أراد أن يبين خلق السماوات والأرض وما بينهما فقط، ولم يذكر خلق ما سواهما.

فليس المراد الحصر، ليس المراد من الآية حصر المخلوقات، بل هناك مخلوقات غير السماوات وغير الأرض وغير ما بينهما، واضح هذا؟ فليس المراد الاستيعاب؛ ولهذا فإن هناك أشياء لم يسمها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السماوات والأرض وما بينهما، أخبر الله عن السماوات والأرض وما بينهما أنها مخلوقة.

وهناك أشياء سكت الله عنها وإن كانت مخلوقة؛ فالكرسي والسماوات والحجب واللوح والقلم إلى غيرها هذه مسكوت عنها وإن كانت مخلوقة، فالقرآن أيضا مسكوت عنه، وهو من الأشياء، وهو غير مخلوق، كما أن الكرسي والعرش واللوح والحجب سكت الله عنها وهي مخلوقة، فكذلك القرآن سكت الله عنه وهو غير مخلوق، وإنما أراد الله أن يخبر عن السماوات والأرض وما بينهما فقط، هذا الجواب الأول.

الجواب الثاني: في قوله: وقلنا فيما ادعوا أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما، فقلنا: إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ والحق هو قول الله، وقول الله غير مخلوق، الله تعالى أخبر عن خلق السماوات والأرض فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا ﴾ إلا بأي شيء؟ ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ .

والحق هو قول الله، وقول الله غير مخلوق، فالسماوات والأرض وما بينهما مخلوقة بالقول، بكلام الله، وكلام الله غير مخلوق، واضح هذا؟

وقلنا فيما ادعوا أن القرآن لا يخلوا أن يكون في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما، فقلنا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ والحق الذي خلق به السماوات والأرض هو قوله، هو قول الله، ما هو الحق الذي خلق به السماوات والأرض؟ هو قول الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ وقال: ﴿ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ وقال: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فالحق الذي خلق به السماوات والأرض قد كان قبل السماوات والأرض.

ما هو الحق الذي خلق به السماوات والأرض؟ قول الله وكلامه، والحق قوله، وليس قوله مخلوقا. عندكم الآن "إن الله يقول الحق" ولَّا ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ ﴾ أعد الجواب.

فقلنا: أليس إنما أوقع الله جل ثناؤه الخلق على المخلوق، ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما؟ فقالوا: نعم. فقلنا: هل فوق السماوات شيء مخلوق؟ قالوا: نعم. فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السماوات مع الأشياء المخلوقة. وقد عرف أهل العلم أن فوق السماوات السبع الكرسي والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة... .

حُجُبٌ حُجِبَ بها عن خلقه.. نعم.. مخلوقة.

و لم يسمها، و لم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، .

هذا الجواب الأول. وإنما وقع.. الخبر يقول: إن الله تعالى سكت عن أشياء مخلوقة، وهي السماوات وما فوقها، وإنما أراد أن يخبر عن أيش؟ عن السماوات والأرض وما بينهما فقط. نعم. نور.. احتجب الله به النور المخلوق غير النور الذي هو ... نعم.

وإنما وقع الخبر من الله عن السماوات والأرض وما بينهما، وقلنا فيما ادعوا أن القرآن لا يخلو أن يكون في السماوات أو في الأرض أو فيما بينهما. فقلنا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ والحق الذي خلق به السماوات والأرض.

وقوله: إن الله يقول الحق. قال: ﴿ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ فالحق الذي خلق به السماوات والأرض .

عندك: إن الله يقول الحق عندك ؟ نعم

والنسخ الثانية، مش عندك النسخة الثانية، "والحق الذي خلق به السماوات والأرض هو قوله" مش عندك؛ لأن الله يقول الحق أحسن أو ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ هذا لفظ الآية ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ إما لأن الله يقول الحق أو ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ نعم.

لأن الله يقول الحق، قال: ﴿ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ فالحق الذي خلق به السماوات والأرض قد كان قبل السماوات والأرض، والحق قوله، وليس قوله مخلوقا.

باب إنكار الجهمية رؤية الله

باب بيان ما جحدت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ .

انتقل المؤلف -رحمه الله- للرد على الجهمية في إنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة، وسيرجع مرة أخرى إلى الكلام أيضا بعد هذا الباب يرجع المؤلف مرة أخرى إلى الكلام والرد على الجهمية. نعم.

قال أحمد -رحمه الله تعالى-: فقلنا لهم لِمَ أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معدود موصوف، إنما ترى الأشياء بفعله، فقلنا: أليس الله يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ ؟ فقالوا: معناها إلى ربها ناظرة تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقدرته، وتلوا آية من القرآن: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ فقالوا: إنه حين قال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنهم لم يرووا ربهم، ولكن المعنى ألم تر إلى فعل ربك، فقلنا: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه،

وإنما قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فقالوا: إنما ينتظرون الثواب من ربهم. قلنا: إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها. فقالوا: إن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

إذن هذا الباب معقود للرد على الجهمية في إنكارهم لرؤية الله، قال أحمد -رحمه الله-: قلنا لهم: لِمَ أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، كل شيء يُنظر إليه يكون معلوما موصوفا، أنت تنظر إلى القمر تعلمه وتصفه، وقالوا: إن الله لا يوصف بصفة.

الجهمية يقولون: لا، لا يعلمه أحد، إن الله لا يعلمه أحد، ولا يصفه أحد بصفاته، فلا يمكن أن يُرى، لا يرى إلا المعلوم والموصوف، والله ليس بمعلوم ولا موصوف -تعالى الله عما يقولون-.

قالوا: الذي يرى الأشياء التي يفعلها إنما ترى الأشياء بفعله، فعل الله، أفعال هي التي ترى، أما الله فلا يرى، خلق السماء والأرض، خلقها بفعله، إذن هذه نراها، أما الله فلا نراه لا في الدنيا ولا في الآخرة، هكذا يقولون، قالوا: لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، إنما تُرى الأشياء بفعله فقلنا أليس الله قال الإمام -رحمه الله- فقلنا: أليس الله يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

قالوا -أوّلها الجهمية- قالوا: إن معناها ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ تنتظر الثواب من ربها، ما تنظر إلى ربها، إنما تنتظر الثواب، تنتظر الثواب، وينظرون إلى فعل الله وقدرته، لا ينظرون إلى الله، بل ينظرون إلى فعله وقدرته، وينتظرون الثواب، وتلوا آية من القرآن قالوا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ .

فقالوا: إن الله حين قال الله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أنهم لم يروا ربهم، ولكن المعنى ألم تروا إلى فعل ربك ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ الآية ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ هل ترى الله ولَّا ترى فعل الله؟ ترى فعل الله وهو الظل، فكذلك ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ تنظر فعل الله، هكذا يقولون.

إذن من شبههم ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ قالوا: إنه حين قال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ لم يروا ربهم، ولكن المعنى: ألم تر إلى فعل ربك؟

قال الإمام أحمد: فقلنا إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، العباد يرون أفعال الله، وهذا إخبار عن الله بأنهم يرونه في الجنة ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ أما أفعال الله فتراها في الدنيا وفي الآخرة.

أفعال الله لم يزل العباد يرونها، وإذا ما قال: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ ﴾ قالت الجهمية فقالوا: إنما ينتظرون الثواب من ربهم، فقال الإمام: قلنا لهم: إنها مع ما تنظر الثواب ترى ربها، أي تنظر الثواب وترى ربها.

فقالوا: إن الله لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة -الجهمية- وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ سبق الجواب عليهم مرة في معنى الآية ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ وأجبنا بجوابين: الجواب الأول: لا تراه في الدنيا، والجواب الثاني: لا تدركه أي لا تحيط به رؤيا، ما نعيد الكلام. نعم.

أدلة أهل السنة على رؤية الله

وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وقال: ﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ وقال الله لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: لن أُرى . فأيهما أولى ؟ أن يُتبع النبي ﷺ حين قال: ﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ أم قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم .

يقول: إن الله جل ثناؤه لما قال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يقول الإمام: قد كان النبي ﷺ يعرف معنى هذه الآية، يعرف معنى قول الله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وقد أخبر الأمة وقال: ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ﴾ .

الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما يعرف معنى هذه الآية ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ؟!! وهو القائل لأصحابه: ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ﴾ .

وقال الله تعالى لموسى لما قال: ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ هذا في الدنيا، ولم يقل إني لا أُرى في الآخرة، في الدنيا ما يستطيع أحد أن يرى الله، ما يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله؛ ولهذا الجبل ما ثبت اندك لماذا؟ لأن البشر ببشريتهم الضعيفة لا يستطيعون أن يثبتوا لرؤية الله.

لكن في يوم القيامة يُنشَّأ الناس تنشئة قوية، يتحملون ويثبتون فيها لرؤية الله ﷻ صفات تبدل صفات قوية واضح هذا؟ حتى إن الكافر يبدل جلده، يجدد ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ حتى إن الكافر ضرسه في النار مثل أُحد، إذن تنشئة تختلف، والمؤمنون ينشئون تنشئة قوية، طول آدم ستون ذراعا في الجنة، طول الناس، والعرض سبعة أذرع، جاء في حديث فيه ضعف.

إذن التنشئة تختلف، واضح هذا؟ فقول الله لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ يعني في الدنيا، ولم يقل إني لا أُرى في الآخرة، يقول الأئمة: فأيهما أولى أن يُتبع النبي ﷺ أم يتبع الجهمي؟ أيهما أولى أن يتبع؟ النبي ﷺ حين قال: ﴿ سترون ربكم ﴾ أم الجهمي الذي يقول: إن الله لا يُرى؟ نعم.

هنا حديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيها أهل العلم، ومن حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد في قوله: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ قال: النظر إلى وجه الله .

يعني الأحاديث فيها واضحة مع الآية الكريمة ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ النظر إلى وجه الله .نعم.

ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن الله قد وعدكم الزيادة، قال: فيكشف الحجاب فيتجلى لهم ... ﴾ وذكر الحديث .

وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه الذي فسر الزيادة ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ النظر إلى وجه الله الكريم، الحسنى الجنة ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ فسرها النبي ﷺ الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله. نعم.

حجب الكفار عن رؤية الله

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: فينظرون إلى الله لا إله إلا هو، وإنا لنرجو أن يكون جهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله؛ لأن الله قال ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ .

-نسأل الله العافية- يقول: نرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن يحجب عن الله، فلا يرى الله؛ لأنه أنكر رؤية الله؛ فيعاقب بأن يحجب عن رؤية الله. نعم.

حجب الكفار دليل الرؤية

فإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟ .

يعني لو كان المؤمنون لا يرون الله، والله تعالى قال عن الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ماذا يكون الفرق بين الكافر والمؤمن؟ هل فيه فرق؟ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ ﴾ يعني الكفار ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لو كان المؤمن يحجب عن الله لتساوى مع الكافر، فلما قال الله عن الكافر: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ دل على أن المؤمنين يرونه. نعم.

أسئلة وفتاوى

الحمد الله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد الله وحده .

الحمد لله، بركة، نقف على هذا، باب بيان هذا يوم الأحد إن شاء الله.

يوم الأحد القادم نبدأ باب بيان ما أنكر الجهم -إن شاء الله- الرسالة سنكملها -إن شاء الله- الأسبوع القادم، الرسالة رسالة عظيمة، وفيها بعض صعوبة، و لم يسبق أن شُرحت، لكن -إن شاء الله- نرجو أن يكون هذا الشرح فيه خير -إن شاء الله-.

وفق الله الجميع لطاعته.

نترك بقية الوقت للأسئلة:

الأخ كان يسأل:

س: ...+ .

ج: يرد على هذا النصوص يضم بعضها إلى بعض، النصوص، وتفسير الآية، فسرها النبي ﷺ الآية تفسر بالنظر إلى وجه الله ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ النصوص يضم بعضها إلى بعض، نعم، هذا إجابة لما سبق... محدث إليهم يعني بالنسبة للرسول، لما علمه الله إياه صار محدثا بالنسبة إليه... نعم... هذا هو الجواب، الرسول لما علمه الله صار محدثا بالنسبة إليه لما تكلم. نعم .

س: فضيلة الشيخ: هل آيات الصفات من المتشابه أم من المحكم؟ وإذا لم تكن من المتشابه فما معنى قول إمام أهل السنة عن الجهم: إنه وجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه، وذكر: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ .

ج: آيات الصفات ليست متشابهة، محكمة، معناها محكم، لكن الكيفية، الكيفية لا يعلمها إلا الله، أما معناها معلوم، كما قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب" الاستواء هو الاستقرار والصعود والعلو، السمع نعرف أن السمع ضد الصمم، والبصر ضد العمى.

نعرف المعنى، المعاني الصفات معروفة، العلم ضد الجهل ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ ﴾ الصفات، آية الصفات معلومة، وكذلك حجم الصفات، لكن المجهول الكيفية، لا نعلم كيفية الصفات، هذا الذي لا

يعلمه إلا الله، كيفية الاستواء، كيفية العلم، كيفية السمع، أما المعاني معروفة كما قال الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول".

وهو وجد ثلاث آيات متشابهات، يعني بالنسبة إليه، الجهم يقول: متشابهات، التشابه نسبي، قد يكون متشابه عند بعض الناس وليس متشابها عند البعض الآخر. نعم.

س: الواو التي قبل قوله تعالى: ﴿ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ذكر أن هذه الواو تسمى واو الثمانية عند النحاة، فهل هذا يصح؟ وهل يكون معارضا لقول الإمام أحمد -رحمه الله-؟ .

ج: ما هي واو الثمانية؟ معروف أنهم يسمونها واو الفصل، ويقولون: إن واو الفصل في بعض المواضع أحسن الواوات، أيش المراد بالثمانية هذه؟ كالعدد ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ يعني سبقها سبعة أوصاف أو كذا؟ المقصود أن الواو فاصلة؛ لأن الثيب غير البكر، والبكر غير الثيب .

س: فضيلة الشيخ -أثابكم الله-: استغلق فهمي عن فهم مسألة التسلسل؛ التسلسل في الفاعلين، والتسلسل في المفعولات، وما هي الوسيلة لفهم ما أشكل في مسائل العقيدة المشكلة؟ .

ج: هذه المسائل مسائل عويصة، ينبغي لك أن تقرأ ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ ﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ﴾ .

تقرأ هذه الآيات، واستعن بالله، واترك البحث في هذه المسائل، قد تتعب ذهنك الآن، وقد يجعلك في حيرة، وإذا كنت طالب علم فاقرأ في مسألة التسلسل في شيخ الإسلام ابن تيمية، في عدد من كتبه، منهاج السنة وغيرها، وكذلك كلام ابن القيم في النونية وفي غيرها.

س: قلتم: إنه لا يجوز القول بأن الله شيء لا كالأشياء، فبم نفسر قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ ؟ .

ج: ما فيه إشكال ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ الذي يقول: إن الله شيء كالأشياء ينفي أن يكون الله شيء، هذا فيه إثبات، إثبات أن الله شيء ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌ ﴾ هذا أثبته الإمام البخاري على أن الله شيء، يسمى شيء.

الجهمي يقول شيء لا يشبه الأشياء، والشيء الذي لا يشبه الأشياء لا وجود له، لا بد من إثبات نوع من الشبه؛ لأن المشابه في الذهن عند القطع عن الإضافة، فالذي يقول: إن لا الله يشبه المخلوقات بوجه من الوجوه، أو لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، معناه أنكر وجود الله، لا بد أن يشبه بوجه من الوجوه، وهذه الآية ما تنافي هذا. نعم.

س: فضيلة الشيخ: ما الدليل على أن كلمة "محدث" في الآية أنها صفة ذم، وهل ينصرف الذم إلى ذكر الرسول ﷺ ؟ .

ج: لا، بس الخلق -كما قال الأمام أحمد-، لو كلمة محدث الآن، الحدث بالنسبة لو وصف كلام الله بأنه محدث، بمعنى مخلوق، هذا ذم لا شك، لكن بالنسبة للرسول -عليه الصلاة والسلام-، فهو مخلوق، وكلامه مخلوق، فلا إشكال، ينصرف هذا ينصرف إلى ما يليق به الخلق، يليق بالرسول، ولا يليق بكلام الله، هذا المقصود. نعم.

س: هل يصح أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: ﴿ إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض؟ ﴾ .

ج: نعم هذا ثابت في حديث أبي بكرة.

س: يقول السائل: وما معنى "استدار كهيئته"؟ .

ج: قال العلماء: إن المشركين كانوا يؤخرون محرم إلى صفر حتى يستبيحون القتال فيه، ويؤخرون صفر إلى ربيع، وهكذا تتداخل الأشهر عليهم، فاستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وعاد كل شهر مكانه، ذو الحجة الذي حج فيها الرسول، ذو الحجة في ذو الحجة، والمحرم في المحرم.

﴿ استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ﴾ السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، كل شهر كان في مكانه بعد الدوران الذي حصل من لخبطة المشركين، لخبطوا الأشهر. نعم.

س: فضيلة الشيخ -وفقكم الله-: لم يتبين لنا تفسير قوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ . .

ج: يعني روح من الأرواح التي خلقها الله، منه يعني: من أمره، روح من الأرواح التي خلقها الله من أمره بكلمة "كن".

س: ما حكم إضافة جميع المخلوقات إلى خالقها؟ .

ج: يقال: أرض الله، وسماء الله، وبيت الله، وأحيانا يكون فيه تشريف، يضاف إضافة تشريف زيادة عن الخلق، مثل: عبد الله، وروح الله، وكلمة الله، وبيت الله، إضافة تشريف، وأحيانا يكون إضافة مخلوق إلى خالقه بدون تشريف، مثل: أرض الله، وسماء الله.

س: يقول السائل: هناك أشياء لا يجوز إضافتها للخالق قولا كقوله: كلب الله ونحوها؟

أيش؟ وهناك أشياء لا يجوز إضافتها للخالق قولا كقوله: كلب الله ونحوها؟ .

ج: الذم لا يضاف إلى الله، والشر كذلك لا يضاف إلى الله، ولهذا قال الله عن الجن: ﴿ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ما يقال الشر، لا يضاف إلى الله، وإن كان الله خلق الخير والشر. نعم .

س: ما رأى فضيلتكم في كتاب الحيدة، حيث فيه نقاش لآراء المعتزلة، وردود شرعية وعقلية، وهل نسبته صحيحة أم لا؟ .

ج: طيب، كتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني، الرد على أبي بشر المريسي، طيب في المناظرة، جيدة، فالظاهر مشهور، أنا ما أعرف، لكن التشكيك هذا إن كثيرا من الناس يشككون، كثير من المعتزلة يشككون في كثير من الرسائل؛ حتى لا يثبت الرد عليهم، ومشهور، ذكر العلماء -ابن تيمية وغيره- يثبتونه لعبد العزيز الكناني، لكن كثير من المعتزلة والجهمية يشككون، كل الكتب يشككون فيها، يقولون: ليست له؛ حتى لا يثبت الرد عليهم. نعم .

س: فضيلة الشيخ: سمعنا أن لكم تحقيقا لكتاب الرد على الزنادقة، فهل هو موجود في الأسواق أم أن خروجه قريب؟ .

ج: لا أبدا، هذا هو الرد على الزنادقة، هذا هو الكتاب، وهذا هو الشرح الآن، هذه أول مرة نتكلم فيه، يعني ما رأيت شرحا لكتابنا، هذه رسالة عظيمة، لم أر يعني أن أحدا شرح هذه الرسالة، فنقول: يعني الكلمة التي تكلمنا فيها -إن شاء الله- يعني تبين توضيح بعض المعنى، نعم، لعله -إن شاء الله- فيما بعد يرتب وينظم، ويفرغ من الأشرطة، ويكون شرحا على الرسالة. نعم.

س: أحسن الله إليكم، نرجو منكم الإحالة على كتاب يسهل على طالب العلم فهمه، مسألة: أن القرآن ليس بمخلوق، وكذلك إن كان هناك رسائل في الأشاعرة، والجهمية، والقدرية، والطوائف المشهورة، يسهل معرفة أخطائهم، وجزاكم الله خيرا؟..

ج: موجود هذا، تقرأ في شرح الطحاوية فيه مناقشة لهذا؛ مناقشة القرآن مخلوق في بعض الرسائل التي فيها، وكلام ابن القيم -رحمه الله- في مختصر الصواعق، وفي كثير من كتبه، والقصيدة النونية، وفي غيرها من الرسائل.

س: فضيلة الشيخ: إنني أعرف جماعة من هذه الفئة وناقشتهم، وهناك بعض أقوال لم أعلم لها ردا منهم، وهي قولهم: إن الله مادي -أي محسوس- أو غير مادي؟

أيش؟

قالوا: هل الله مادي أو غير مادي؟ .

ج: هذا ما ينبغي أن يقال هذا الكلام، هذا الكلام باطل، من أبطل الباطل، الله تعالى قال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ لا أحد يعلم كنه الله، وكيفيته، وحقيقته إلا هو -سبحانه وتعالى-، ومعنى هذا كلام باطل لا ينبغي أن يقال، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ هذا هو وصف الله ﷻ كلمة الإخلاص.

والله تعالى معلوم بصفاته وأسمائه -سبحانه وتعالى-، وله ذات لا تشبه الذوات، وله صفات لا تشبه الصفات، وله نفس -كما سمعنا- في الآيات: ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ لا تشبهه الأنفس. نعم.

س: وبالنسبة لعلو الله تعالى يتخيلون أن له حيزا أو مكانا، والمكان مخلوق، فكيف نجيب على هؤلاء؟ .

ج: المخلوقات انتهت سقف، وعرش الرحمن هذه آخر المخلوقات، وما فوق العرش ليس هناك مخلوق، والله تعالى فوق العرش بعد أن تنتهي المخلوقات، ما فيه حيز مخلوق، المخلوقات نهايتها وسقف وعرش الرحمن، والله تعالى فوق العرش، بعد أن تنتهي المخلوقات. نعم.

س: وقالوا أيضا: خالق كل شيء، أن الله خلق الأشياء، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ أي عليم بالأشياء الموجودة، والذي غير موجود لا يسمى شيء، فالله لا يعلم غير الأشياء الموجود. .

ج: الله يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، حتى الأشياء التي لم تكن قال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ ﴾ أخبر الله بحالهم، قال عن المنافقين: ﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا ﴾ قد علم الله بما لم يكن لو كان كيف يكون، الله تعالى عالم بكل شيء، الله على كل شيء قدير. نعم.

س: فضيلة الشيخ ما الفرق بين القضاء والقدر؟ .

ج: يطلق أحدهما على الآخر، وهناك فروق بينهما، هناك فروق ذكرها العلماء، فارجع إلى كتب اللغة، وكتب السنة التي فرقت بينهما، ويطلق أحدهما على الآخر، يطلق أحدهما على الآخر، لكن هناك فرق دقيق بينهما. نعم .

س: فضيلة الشيخ: سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وهذه سائلة تقول: عندما نتحدث مع بعض الناس عن فوائد البلاء وضرورة الصبر يردون علينا بهذا القول: ما بال الأطفال يبتلون ويعذبون بهذه الأمراض، وما الحكمة من تعذيب الأطفال بهذه الأمراض؟ .

ج: الله تعالى له الحكمة البالغة، وله الأسرار ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ وكذلك خلقه الحيات والعقارب والكلاب والثعابين له الحكمة البالغة في ذلك، الحكم تتعلق بالأحياء، وبالصغار وبالكبار، أنت تبتلى إذا مرض صبي الآن، تكون مصيبة عليك، هل تقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ ؟ هل تجزع؟ هل تتسخط؟ هل تشكر الله؟ ترفع درجاتك من الصبي الذي يمرض الآن، هذا يتعلق بك أنت -الكبير-، هل تصبر وتقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ ؟ أو تجزع وتتسخط؟ وهل تكون من الصابرين؟ وماذا تعمل؟

حِكم وأسرار لله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ لا يقع في ملك الله إلا ما هو مبني على الحكمة، كلام الله، خلق الله مبني على الحكمة، وأمره مبني على الحكمة، الله تعالى لا يخلق إلا لحكمة، ولا يأمر إلا لحكمة، ولا ينهى إلا لحكمة -سبحانه وتعالى- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ نعم .

س: فضيلة الشيخ: ذكر طول يوم القيامة بالكتاب والسنة، وهل طوله طول حقيقي أم نظرا لشدته وكربه؟ .

ج: نعم طوله طول حقيقي، ولكن الله ييسره على المؤمن قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ وهو ييسر على المؤمن، وهو عسير على الكافر، وفق الله الجميع لطاعته، ورزق الجميع العلم النافع .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

قد سبق في الجلسة الماضية استعراض شبه الجهمية والرد عليها:

الشبهة الأولى: شبهة الجهمية على أن القرآن مخلوق، وهي استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ وجه استشكال الجهمية هنا قالوا: جعل بمعنى خلق، وعلى هذا فيكون معنى الآية ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يعني إنا خلقناه قرآنا عربيا.

طيب الجواب.. نعم. تأتي على معنيين: المعنى الأول مثل جعلوا ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ والمعنى الثاني: ما هو المعنى الثاني؟ يكون على معنى التشبيه، مثل: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ وجعل أيضا من الله لها معنيان، ما هما المعنيان؟ تأتي بمعنى خلق مثل أيش؟

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ وتأتى على أيش؟ على غير معنى خلق مثل أيش؟ هذه الآية هي التي فيها الشبهة للجهمي، لكن غير الآية ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴾ وعلى هذا والآية التي معنا التي استدل بها الجهمي من أي المعاني؟ من المعنى الثاني جعل على معنى خلق بدليل أنها تعدت إلى مفعولين.

والقاعدة أن جعل إذا تعدت إلى مفعولين لا تكون بمعنى خلق، إنما تكون إذا تعدت إلى مفعول واحد ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ وهكذا. أما إذا تعدت إلى مفعولين فلا تكون بمعنى خلق، والآية تعدت إلى مفعولين.

الشبهة الثانية للجهمي شبهة عقلية، يقول: أخبرونا عن القرآن أهو الله أو غير الله؟

فلا بد بزعمه إن قيل هو الله قال له الجهمي: كفرت. لماذا؟ لأنه قال بتعدد الخالق، أو سمى الله مثلا بغير اسمه، وإن قال له غير الله قال: غير الله مخلوق، واضح هذه الشبهة عقلية، يقول: هل القرآن هو الله؟ كلاهما يتعلقان بالقرآن.

الشبهة الأولى شرعية تتعلق بالقرآن، والشبهة الثانية عقلية تتعلق بالقرآن، يقول: أخبرونا عن القرآن، هل هو الله أو غير الله؟ فيقول الجهمي: إن قلت هو الله كفرت؛ لأنك سميت الله بغير اسمه، ولأنك قلت بالتعدد، وإن قلت: غير الله قيل لك: كل شيء غير الله مخلوق. الجواب جواب الشبه جواب الإمام.

إذن نقول: إن الله تعالى.. نسمى القرآن بما سماه به الله، سماه كلامه، ولم يقل الله: إنه أنا ولا غيري، واضح هذا؟ فالله -سبحانه وتعالى- لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وإنما قال: هو كلامي، فمن سماه باسم سماه الله به كان من المهتدين، ومن سماه باسم غيره كان أيش؟ من الضالين.

والله تعالى فصل بين الخلق والأمر، فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فدل على أن الكلام والأمر هو الكلام كلام الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

الشبهة الثالثة للجهمية: شبهة عقلية أيضا، تتعلق أيضا بالقرآن، إن القرآن مخلوق، يقول: أخبرونا عن القرآن هل هو شيء أو غير شيء؟ فإن قلتم: هو شيء، فنقول: إن الله خالق كل شيء واضح هذا؟

هذه الشبهة الثالثة تتعلق القرآن. نعم. الجواب الذي كان، الذي وجد بقوله سمى الشيء الذي وجد بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

فالشيء الذي قال له كن هو الشيء المخلوق، والله سبحانه لم يسم كلامه في القرآن شيئا، إنما سمى شيئا الذي كان بقوله واضح هذا؟ واستدل على هذا بأدلة: الريح التي أرسلها الله على عاد ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ المراد ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ تصلح للتدمير، فكذلك إذا قال الله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فهو خالق كل شيء مخلوق.

الشبهة الرابعة: شبهة شرعية للجهم على أن القرآن مخلوق أيضا ما هي؟ هو أنه استدل بقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ هذه شرعية ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ قال: الله تعالى أخبر أن القرآن ذكر محدث، والمحدث مخلوق، فدل على أن القرآن مخلوق، واضح هذا ؟

الجواب: جواب الإمام أحمد أن كلمة محدث ينصرف إلى ذكر الرسول، لا ينصرف إلى ذكر الله، طيب يقول لك الجهمى: اجتمعا في شيء واحد ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ نعم إذا

اجتمع شيئان في اسم يجمعهما، وأحدهما أعلى من الآخر، إن جرى عليهما اسم مدح ينصرف إلى أعلاهما، وإن جرى عليهما اسم ذم ينصرف إلى أدناهما، وهذا له أمثلة مثل أيش؟

مثل ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ عباد الله، كل الناس عبيد لله، معبدون؛ المؤمنون والكفار، لكن من الذي يشرب منها ؟ الكفار يشربون أم المؤمنون؟ الأبرار، بدليل أن الأبرار إذا انفردوا مدحوا ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ والفجار إذا انفردوا ذموا ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ واضح هذا ؟ وكذلك قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

الناس تشمل المؤمن والكافر، لكن من المراد؟ ما المراد بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ ؟ المؤمنون؛ لأنهم إذا انفردوا مدحوا لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ وكذلك هنا: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ اجتمع ذكر الله وذكر الرسول، فالحديث ينصرف إلى أيش؟

إلى ذكر الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن ذكر الله إذا انفرد لا يجري عليه اسم الحدث؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ فإذا انفرد ذكر النبي ﷺ جرى عليه اسم الحدث، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

طيب هذا جواب الإمام أحمد، في جواب الإمام البخاري -رحمه الله- نعم تفضل.. نعم... أحسنت، هذا جواب الإمام البخاري؛ ولهذا بوّب في كتابه الجامع الصحيح فقال: باب قول الله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ وقول الله تعالى: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ .

إذن جواب الإمام البخاري مبني على أن الله تعالى يتكلم إذا شاء، وأن أفراد كلام الله محدث، وأن القران كلام الله محدث، تكلم الله به وقت نزوله، وحدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، وكتاب الله القران أقرب الكتب عهدا بالله، وأحدث الأخبار بالله.

ولهذا قال ابن عباس –رضى الله عنه–: ﴿ يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء؟ وكتابكم الذي أنزله الله على نبيكم أحدث الأخبار محضا لم يشب ﴾ .

الحافظ ابن كثير يقول: محدث أي جديد إنزاله، جديد إنزاله، فسر أيش محدث؟ بأن هذا يرجع إلى الإنزال، جديد إنزاله، يتمشى هذا مع أي القولين أو الجوابين؟ نعم جديد إنزاله يعني أفراده حادثة، وحدث الله لا يشبه حدث المخلوقين، وإن كان قديم النوع .

الشبهة الخامسة للجهمية: شبهة أيضا شرعية ما هي؟ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ .

وجه شبهة الجهمي في هذه الآية على أن القرآن مخلوق ما هي؟ يعني وجه شبهة الجهمي في قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ فأخبر أن عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم، وعيسى مخلوق، فعيسى هو كلمة الله، وعيسى مخلوق، فدل على أن كلام الله مخلوق.

الآية دلت على أن عيسى كلمة الله ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ وعيسى مخلوق، فدل على أن كلام الله مخلوق، الرد... نعم... نعم، إن عيسى وجد بكلمة الله، ليس هو الكلمة، ولكنه خلق بالكلمة، وعيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، يسميه الله مولودا وطفلا وصبيا وكهلا وشيخا، وهو يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد، وهو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، والقرآن لا تجري عليه هذه الألفاظ .

في عيسى ثلاثة مذاهب ما الفرق بينها؟ مذهب للنصارى، ومذهب للجهمية، ومذهب للمسلمين، ذكر ثلاثة مذاهب، ما الفرق بين هذه المذاهب؟ المذهب الأول.. نعم، وكلمته، نعم، عيسى كلمة الله،

وعيسى مخلوق، فكلام الله مخلوق، قالوا: عيسى كلمة الله، وكلام الله مخلوق، هذا مذهب أيش؟ الجهمية، عيسى كلمة الله، وعيسى مخلوق، فكلام الله مخلوق.

مذهب النصارى: عيسى روح الله، يعني روح من الله، يعني جزء من الله، فهو روح من الله، كما يقال: هذه الخرقة من هذا الثوب، يعني جزء من الله -تعالى الله عما يقولون-، ليس كلمة الله أنه مخلوق لا، لا يقولون كلمة الله أنه مخلوق، كلمة الله جزء من الله، فيقولون: جزء من الله.

ولا يقولون كما تقول أيش؟ الجهمية أنه مخلوق، بل يقولون: عيسى مكون من شيئين، روح الله يعني جزء من الله، والثاني اللحم والدم، فامتزجا وصارا شيئا واحدا، قالوا له: عيسى امتزج اللاهوت بالناسوت، فيه جزء من الله، وجزء من الناس -تعالى الله عما يقولون- امتزج وصار شيئا واحدا يقال له: المسيح.

ولهذا يقول النصارى: امتزج اللاهوت بالناسوت، اللاهوت جزء من الله، الناسوت جزء من الناس، امتزج اللاهوت بالناسوت فصار شيئا واحدا يقال له الله، أو يقال له عيسى -أعوذ بالله-.

طيب مذهب المسلمين... نعم، أن عيسى مخلوق بالكلمة، وليس هو الكلمة، وكلام الله صفة من صفاته، كلام الله ليس مخلوقا -كما تقول الجهمية-، وليس عيسى جزءا من الله -كما تقول النصارى-، بل عيسى مخلوق بكلمة الله، ليس هو الكلمة.

النصارى يقولون: هو نفس الكلمة، عيسى نفس الكلمة، والكلمة جزء من الله، النصارى يقولون: عيسى نفس الكلمة، وكلام الله غير مخلوق، فيكون جزءا من الله.

الجهمية يقولون: عيسى نفس الكلمة، وكلام الله مخلوق.

المسلمون يقولون: عيسى ليس هو الكلمة، بل هو مخلوق بالكلمة، وكلام الله غير مخلوق، عيسى مخلوق، خلقه الله بكلمة "كن" ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

الشبهة السادسة للجهمية: شبهة أخرى عقلية، يقولون: إن الله يقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ والقرآن لا يخلو إما أن يكون في السماء أو يكون في الأرض أو فيما بينهما، فلا بد أن يكون مخلوقا.

جواب الشبهة... نعم، هناك مخلوقات غير السماوات والأرض وما بينهما، وهما فوق السماوات الكرسي والعرش واللوح.

الشبهة السادسة للجهمية: شبهة أخرى عقلية، يقولون: إن الله يقول: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ .

والقرآن لا يخلو إما أن يكون في السماء، أو يكون في الأرض، أو فيما بينهما، فلا بد أن يكون مخلوقًا.

جواب الشبهة؟ تفضل، نعم، يعني: هناك مخلوقات غير السماوات والأرض وما بينهما، وهما فوق السماوات؛ الكرسي والعرش واللوح.

وثانيًا: نقول إن الله -تبارك وتعالى- يقول: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ .

والحق الذي خلقت به السماوات والأرض هو قوله؛ لأن الله يقول الحق، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾ .

فإذن، السماوات والأرض وما بينهما مخلوقات، بإيش؟ خُلقتا بالحق، والحق هو قول الله، والقرآن كلام الله، فلا يكون مخلوقًا؛ لأن السماوات خُلقتا بالحق.

طيب، الباب الذي بعد هذا الرد على الجهمية في إنكارهم رؤية الله يوم القيامة، الإمام أحمد -رحمه الله- ناقش الجهمية حينما أنكروا رؤية الله وقالوا: إن المؤمنين لا يرون الله.

قال لهم الإمام –رحمه الله–: لِمَ أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟ فقالوا: لأن المنظور إليه معلوم موصوف.

وهذا لا ينطبق على الله؛ لأنه ليس معلوما ولا موصوفا، فهو معلوم بالعقل، يُدرك بالعقل، وإنما الذي يُرَى فعل الله، الأشياء التي فعلها هي التي تُرَى.

فقال لهم الإمام أحمد: أليس الله يقول: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ؟.

فقالوا: معناها: تنتظر الثواب من ربها، وتنظر إلى فعله وقدرته . واستدلوا بالآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ .

فقالوا: ألم تر إلى ربك؟ قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ وهم لا يرون ربهم، ولكن المعنى: ألم ترَ إلى فعل ربك.

فقال الإمام –رحمه الله–: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال الرب: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فقالوا: إنهم ينتظرون الثواب من ربهم. فقال الإمام: مع كونهم ينتظرون الثواب هم يرون ربهم. فقالوا: إن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة.

هذا مذهب الجهمية: "لا يُرَى في الدنيا ولا في الآخرة". حتى أنكروا رؤية الله في المنام.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "رؤية الله في المنام أثبتها جميع الطوائف إلا الجهمية، من شدة إنكارهم لرؤية الله، حتى أنكروا رؤية الله في المنام".

من شدة إنكار الجهمية لرؤية الله، حتى أنكروا رؤية الله في المنام، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

قد سبق أن هذه الآية قيل: معناها: لا تراه الأبصار في الدنيا، وقيل: المعنى: "لا تدركه" أي: لا تحيط به رؤية، وإن كانت تراه؛ لأن نفي الإدراك قدر زائد على الرؤية.

يقول الإمام أحمد ردًا عليهم: قد كان النبي ﷺ يعرف قول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ ومع ذلك فقد قال لأمته: ﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ .

يعني: إنه لا تعارض بين هذه الآية وبين النصوص، والنصوص التي فيها إثبات رؤية الله تعالى- رؤية المؤمنين لربهم -سبحانه وتعالى- متواترة، نصوص متواترة عند أهل العلم، رواها عن النبي ﷺ ما يقارب ثلاثين صحابيًا في الصحاح والسنن والمسانيد، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح".

فإذن، النصوص التي فيها إثبات الرؤية من الأحاديث متواترة مع الآيات، الآيات صريحة، ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ وإذا حُجِبَ الكفار فإن المؤمنين لا يُحجبون.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥ ﴾ جاء في تفسير "مزيد" أنه النظر إلى وجه الله.

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ .

الزيادة كما فسرها النبي ﷺ في الحديث صهيب الذي رواه الإمام مسلم بأن الزيادة النظر إلى وجه الله، الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله.

إذن، الآيات القرآنية صريحة في إثبات الرؤية، والسنة متواترة.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "رواها عن النبي ﷺ نحو ثلاثين صحابيًا في الصحاح والسنن والمسانيد، وهي صريحة".

يقول النبي ﷺ ﴿ إنكم سترون ربكم كما ترون من الشمس صحوًا ليس دونها سحاب ، وكما ترون القمر ليلة البدر ﴾ .

في حديث عدي بن حاتم ﴿ أن النبي ﷺ نظر إلى القمر ليلة أربعة عشر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته ﴾ .

في بعض الروايات: ﴿ فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ﴾ وهما صلاة الفجر وصلاة العصر؛ الصلاة التي قبل طلوع الشمس الفجر، والصلاة التي قبل غروبها العصر.

قال العلماء: إن المحافظة على هاتين الصلاتين من أسباب النظر إلى وجه الله الكريم، وهما البردان ﴿ من صلى البَرْدين دخل الجنة ﴾ وذلك لأن الفجر تقع في آخر الليل، في وقت النوم، وكذلك العصر تقع في وقت الراحة.

فإذا كبح الإنسان جماح نفسه، وجاهد نفسه، وحافظ على هاتين الصلاتين إيمانا بالله ورسوله، فإن ذلك يدفعه إلى أن يحافظ على بقية الصلوات، ليس المعنى أن يصلي صلاتين ويترك بقية الصلوات لا يحافظ عليها. لا، بل المعنى أنه أن من حافظ على هاتين الصلاتين -مع كونهما يقعان في وقت الراحة والنوم- فإن محافظته على هاتين الصلاتين تدفعه إلى المحافظة على بقية الصلوات.

ليس المراد أنه يحافظ على صلاتين ويترك بقية الصلوات الخمس. لا ، المراد أن من حافظ على هاتين الصلاتين لا يمكن أن يترك الصلوات الأخرى، ومن أضاعهما أضاع ما سواهما، فليحافظ على صلاة الفجر، ويحافظ على صلاة العصر، لا يمكن أن يترك صلاة الظهر، ولا صلاة المغرب، ولا صلاة العشاء.

يقول الإمام -رحمه الله-: "وقال الله -سبحانه وتعالى- لموسى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: لن أُرَى. يعني: هناك فرق بين قوله ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: لن أُرَى، يعني: أنه لم ينفه نفيًا مؤبدًا، ولم يعلقه بشيء مستحيل.

لو قال: إني لا أُرَى، أو لست بمرئي، أو لا تمكن رؤيتي، أو علَّقه بشيء مستحيل على الله -كالأكل والشرب والنوم- نعم، لكن علقه بشيء ممكن ، فقال: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ ﴾ والله قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا.

فقال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: لن أُرَى، أو لا تمكن رؤيتي؛ وذلك أن موسى لا يستطيع رؤية الله، ولا يستطيع الثبات لرؤية الله ببشريته الضعيفة في الدنيا، ولكن يوم القيامة يُنَشَّأ الناس تنشئة قوية يستطيعون فيها رؤية الله ﷻ .

والمعتزلة استدلوا بهذه الآية: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ على نفي رؤية الله في الآخرة، وقالوا: "لن" للنفي المؤبد، أو "لن": حرف نفي ونصب واستقبال، فهي للنفي المؤبد، وإذا كانت للنفي المؤبد فيشمل هذا النفي رؤية الله في الآخرة، فقالوا: إن الله لا يُرَى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأجيب بأن نقول: بأن "لن" للنفي المؤبد ليس بصحيح، قول ضعيف، ليست للنفي المؤبد، نقول: "لن" للنفي المؤبد قول ضعيف، ولهذا أشار ابن مالك في الألفية إلى أن القول بأن "لن" للنفي المؤبد قول ضعيف، ولهذا قال:

ومن رأى النفي بـ"لن" مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

قول مردود، ولو كان للنفي المؤبد لما جاز تحديد الفعل بعدها في مثل قول الله تعالى: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾ .

﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ ﴾ كيف تكون للنفي المؤبد وجاء تحديد الفعل بعدها؟

ولا تكون للنفي المؤبد حتى لو قيدت بالتأبيد، حتى لو قُيِّدَتْ بالتأبيد ما تكون للنفي المؤبد، قال الله -تعالى- عن الكفار: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾ يعني: الموت، ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ ﴾ جاء بـ"لن" و"أبدًا".

وأخبر الله أنهم في الآخرة يتمنون الموت، قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ سألوا الموت، قال: ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

فإذن، "لن" لا تكون للنفي المؤبد، وحتى ولو قيدت بالتأبيد؛ فإن الدوام لا يستمر في الآخرة، بدليل أن الكفار تمنوا، أخبر الله أنهم لن يتمنوا الموت، وقَيَّدَ ذلك بالتأبيد، ومع ذلك تمنوه في الآخرة.

والآية -وهي قوله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ ﴾ تدل على جواز رؤية الله في الآخرة من وجوه متعددة:

منها: أنه قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ولم يقل: لا أُرَى، أو لا تمكن رؤيتي.

ومنها: أنه علقه على استقرار الجبل، علقه على الجبل، والله قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا.

ومنها: أن الله -تعالى- إذا تجلى للجبل -وهو جماد- لا ثواب له ولا عقاب، فلعله يصير لرسوله لأنبيائه ورسله في الآخرة من باب أولى.

ومنها: أن الله -تعالى- كلم موسى، ومن جاز تكليمه جاز رؤيته، إلا أن موسى لا يستطيع الرؤية ببشريته الضعيفة.

والرؤية جائزة عقلا، غير مستحيلة، ولو كانت مستحيلة لما سأل موسى الرؤية؛ لأن موسى لا يسأل المستحيل، ولو كانت الرؤية مستحيلة لأنكر الله على موسى كما أنكر على نوح حين سأل نجاة ابنه، لما قال نوح، لما غرق ابن نوح -عليه السلام- الكافر قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

أنكر الله عليه، فقال: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

ولم ينكر على موسى حين قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ لم يقل: لا تمكن رؤيتي، أو إني لا أُرَى، أو لست بمرئي، أو لا تسألني الرؤية؛ وإنما قال: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ يعني: في الدنيا ببشريتك الضعيفة، ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾ .

ولأن الرؤية -رؤية الله- نعيم فادخرها الله -تعالى- للمؤمنين في الجنة.

والخلاصة أن رؤية الله -تعالى- في الدنيا جائزة عقلا، غير واقعة شرعًا، في العقل غير مستحيلة، الرؤية تجوز، ولكن هناك مانع، ما هو المانع؟ عدم التحمل، ضعف البشر، ما يستطيعون.

ولهذا لما قيل للنبي ﷺ لما سئل النبي ﷺ كما في "صحيح مسلم"-: ﴿ هل رأيت ربك؟ -كما في حديث أبي ذر- قال: رأيت نورًا ﴾ لأن النور حجاب يمنعني من رؤيته.

وفي حديث موسى في "صحيح مسلم": ﴿ إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور وفي رواية النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ .

لو كشف الحجاب -سبحانه وتعالى- ﴿ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ وموسى من خلقه، ومحمد من خلقه، جميع الخلق ما يستطيعون في الدنيا، واضح هذا؟ نعم.

نعم، نثبت جهة العلو، أن الله في العلو، الله -تعالى- يُرَى في العلو، الله -تعالى- فوق السماوات، وفوق العرش، بعد أن تنتهي المخلوقات، المخلوقات أسفل عرش الرحمن والله -تعالى- فوق العرش، مَثَّل لكم هذه الصورة بجلاله وعظمته، لا نُكَيِّف، والمرئي لا بد أن يكون بجهة واضحة.

المعتزلة أنكروا الجهة، وأنكروا الرؤية جميعًا، وقالوا: إن الرؤية لا تكون، مستحيلة لا تمكن، والجهة والله -تعالى- يكون في الجهة، لكان محدودا جسما متحيزا.

نقول: إن الله -تعالى- لا يشبه المخلوقين، كونه محدودا متحيزا وفي مكان، نقول: نعم، الله -تعالى- بعد أن تنتهي الأمكنة المخلوقة هو فوق العرش، العرش هو سقف المخلوقات، تنتهي المخلوقات، ما بعد العرش شيء من المخلوقات، والله -تعالى- فوق العرش، ولا يمكن أن يكون هناك مرئي إلا بجهة من الرائي.

المعتزلة أنكروا الرؤية، وأنكروا الجهة، وأهل السنة أثبتوا الرؤية، وأثبتوا الجهة، جهة العلو يعني، قالوا: إن الله في العلو.

والأشاعرة أثبتوا الرؤية، وأنكروا الجهة، فصاروا مذبذبين؛ لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء؛ لأنهم وافقوا المعتزلة في القول بإنكار العلو.

الأشاعرة يقولون: الله ليس له مكان، أنكروا الجهة، ولكن ما استطاعوا أن ينكروا الرؤية، فأحبوا أن يكونوا يثبتوا الرؤية مع أهل السنة، ولا يريدون أن يخالفوا المعتزلة في إنكار الجهة، فقالوا بإثبات الرؤية ونفي الجهة.

فإذا قيل لهم: يُرَى الله؟ قالوا: نعم. فإذا قيل: أين يرى؟ من فوق؟ يقولون: لا. من تحت؟ يقولون: لا. يمين؟ يقولون: لا. شمال؟ يقولون: لا. أمام؟ يقولون: لا. خلف؟ يقولون: لا. أين يرى؟ يقولون: يُرَى لا في جهة.

فقال لهم أهل السنة: إن هذا مخالف لضرورات العقلاء. فجمهور العقلاء يقولون: لا يمكن أن يكون المرئي إلا بجهة من الرائي، فشيء لا يرى في جهة لا وجود له.

ولهذا ضحك جمهور العقلاء من قول الأشاعرة: إنه تمكن الرؤية بدون جهة. قالوا: مستحيل، ما يمكن.

يعني: هذا مخالف لبداهة العقول، معروف ببداهة العقول أن المرئي لا بد أن يكون بجهة من الرائي، كل مرئي لا بد أن يكون بجهة، يكون أمامك، أو فوقك، يكون بجهة، أن يكون المرئي مباين للرائي مواجها له.

فالقول بأن هناك شيء يُرَى لا في جهة قول باطل، تبطله العقول وتنكره، ويضحك منه جمهور العقلاء.

ثم إنه مخالف للنصوص الصحيحة الصريحة، قال: ﴿ إنكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته ﴾ ومعلوم أن النظر إلى القمر من فوقنا، فيجب أن نرى الله كذلك من فوقنا.

﴿ كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب ﴾ واضح هذا ؟

والمعتزلة، وكذلك نفاة الرؤية فسروا الرؤية في الأحاديث بالعلم، أَوَّلُوها بالعلم، قال: ﴿ إنكم ترون ربكم ﴾ يعني: تعلمون ربكم.

﴿ إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ﴾ يقولون: المعنى: إنكم ربكم لا تشكون في العلم به، كما لا تشكون في القمر أنه قمر. هذا فاسد، هذا معناه يفسد المعنى.

﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ تعلمون أن لكم ربًا لا تشكون في العلم به، ولا تمتلكون فيه الشكوك، كما لا تشكون في القمر أنه قمر.

نقول: هذا معنى فاسد؛ لأن زوال الشك في ربوبية الله هذا يشمل المؤمن والكافر، كل فرد من أفراد الناس يوم القيامة -حتى المنكرون لوجود الله- يزول عنهم الشك، أليس كذلك إذا بُعثوا يوم القيامة هل يشكون؟ ما يشكون.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- بشر المؤمنين وخصهم بالرؤية، فما قيمة هذه الخصوصية؟ لو كان معناها نفي الشك عن ربوبية الله لما كان للمؤمنين خصوصية، الرسول ﷺ بشر المؤمنين، وبَيَّن أن هذا أنعم نعيم يعطاه المؤمنون.

فلو كان معنى الرؤية -كما يقوله المعتزلة، كما يقوله منكروا الرؤية، كما يقوله الجهمية: إن معنى الرؤية العلم- ما حصل فرق بين المؤمن والكافر.

﴿ إنكم ترون ربكم ﴾ تعلمون ربكم، يوم القيامة كل يعلم ربه، المؤمن الكافر، الكافر الذي ينكر وجود الله يعلم ربه، والمؤمن يعلم ربه.

إذن، ما الفرق بين المؤمن والكافر؟ إذًا الرؤية واحدة للمؤمن والكافر؟

وهذا من أبطل الباطل، والله -تعالى- يقول: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

إذا كان الرؤية معناها العلم، ما في أحد يُحجب عن العلم، كل واحد يعلم ربه، كل واحد يعلم ربه.

وبهذا يتبين أن تفسير الجهمية والمعتزلة للرؤية بالعلم تفسير باطل، يفسد به معنى النصوص، تفسد به معاني النصوص. واضح هذا؟

الإمام أحمد -رحمه الله- يقول: أيهما أولى: أن يتبع النبي ﷺ حين قال: ﴿ إنكم سترون ربكم ﴾ أم قول الجهمي حين قال: "لا ترون ربكم"؟!

والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم، والأحاديث في هذا كثيرة، لا يختلف فيها أهل العلم، وذكر أمثلة، أدلة.

من الأدلة حديث سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن سعد، في قول الله ﷻ ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ قال: ﴿ النظر إلى وجه الله ﴾ .

وحديث ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: ﴿ إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن الله قد وعدكم الزيادة، قال: فيكشف الحجاب فيتجلى لهم ﴾ وذكر الحديث.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: فينظرون إلى الله لا إله إلا هو.

ثم بين الإمام -رحمه الله- أن إنكار الجهمية لرؤية الله هذا يوصلهم إلى الكفر، ولهذا قالوا: وإنا لنرجو أن يكون جهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله؛ لأن الله يقول: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وهذه الآية في من؟ في سياق من؟ في سياق الكفار، فإذن جهم وشيعته يرجو الإمام أحمد أن يُحجبوا عن الله، وأن لا يرون الله؛ لأنهم كفار، هذا دليل على أن الإمام يكفرهم، وهم كفار كما سمعنا.

فالذي يقول: "إن القرآن كلام الله المخلوق" كافر، وكذلك الذي ينكر رؤية الله كافر، كَفَّره جمهور السلف.

وهم أيضا ينكرون وجود الله؛ لأنهم قالوا: هو شيء لا كالأشياء. وسبق أن من قال: الله شيء لا كالأشياء، أنه منكر لوجود الله؛ لأنه لا بد أن يكون هناك قدر في الجهة تشترك فيه المسميات والموجودات، في المعنى، عند إيش؟ عند القطع عن الإضافة، وعدم الاختصاص.

يقول الإمام: "فإذا كان الكافر يُحجب عن الله، والمؤمن يُحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟!

يعني: لو كان المؤمنون لا يرون الله لصاروا محجوبين، والله أخبر أن الذي يُحجب عن الله هو كافر، فلو كان المؤمنون لا يرون الله لصاروا محجوبين، فلا يكون هناك فرق بين الكافر والمؤمن، يكون كل منهم محجوبا عن الله، وهذا من أبطل الباطل، واضح هذا؟ نعم.

إنكار الجهمية لكلام الله والرد عليهم

قال -رحمه الله تعالى-: باب بيان ما أنكر الجهمي من أن يكون الله كلم موسى، فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يُكَلِّم ولا يتكلم؛ إنما كَوَّن شيئا فعَبَّر عن الله، وخلق صوتًا فأسمعه، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين .

إذن، هذا الباب للرد على الجهمية في إنكارهم أن يكون الله كلَّم موسى، إنكارهم لكلام الله.

هذا الباب معقود للرد على الجهمية في إنكارهم كلام الله، وأن الله -تعالى- كلم موسى.

يقول الإمام: قلنا لهم: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يكلِّم ولا يتكلم، إن الله لا يتكلم ولا يكلم أحدًا، هكذا تقول الجهمية.

كيف يجيبون عن الآيات التي فيها: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ الآيات التي فيها ثبوت كلام الله؟

قالوا: معناها: كَوَّن شيئا فعبر عن الله، وخلق صوتًا فأسمعه، قالوا: ما تكلم، ولكن كَوَّن شيئا فعبر عن الله، خلق شيئا، "كَوَّن" يعني: خلق شيء.

وقالوا: إن الله -تعالى- لم يقل لموسى: إني أنا الله رب العالمين، بل خلق الكلام في الشجرة، والشجرة هي التي كلمت موسى، وقالت: إني أنا الله رب العالمين.

والجهمية كذلك يقول بعضهم: الكلام يخلقه الله في الهواء، أو في الشجرة، أو في أي شيء، فيكون الكلام بدأ من هذا المخلوق.

فنقول: إن الجهمية أولوا النصوص التي فيها أن الله كَلَّم، قالوا: إنه كَوَّنَ شيئا فعَبَّرَ عن الله، خلق شيء فقال: إني أنا الله، وخلق صوتًا فأسمع موسى، فموسى ما سمع كلام الله، ولكن سمع صوتًا خلقه الله، وقال لموسى: إني أنا الله.

أعوذ بالله، هذا رد للقرآن، إبطال للقرآن.

وشبهتهم -يقول الإمام- يقول: وشبهتهم زعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفتين، ما يمكن الكلام إلا إذا كان من جوف وفم ولسان وشفتين، فإذا قلتم: إن الله يتكلم فقد أثبتم أن لله جوفًا، وأثبتم لله فمًا، وأثبتم لله لسانًا، وأثبتم لله شفتين، ومن أثبت أن هذه الأشياء لله فقد كفر؛ لأنه شبَّه الله بخلقه. هكذا تقول الجهمية.

يقول الإمام أحمد: لماذا أنكروا الكلام؟ قالوا: فرارا من الكفر. قالوا: لأن لو أثبتنا الكلام لله للزم أن يكون له جوفٌ وفم ولسان وشفتان، ومن أثبت هذه الأشياء لله فقد شبه الله بخلقه، ومن شبه الله بخلقه كفر.

ففرارًا من ذلك قالوا: لا يكلِّم، ولا يكلم، وأما النصوص التي فيها أنه يتكلم فهي منسوبة إلى أشياء خلقها الله، خلق أشياء خلقها الله وكونها فتكلمت، وخلق صوتًا فأسمع موسى، فموسى لم يسمع كلام الله، وإنما سمع صوتًا خلقه الله فأسمعه إياه، وكون شيئا فعبر عن الله ، إما الشجرة أو غيرها، ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ .

فقالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة، فكلمه، فسمع الكلام من الشجرة.

والمؤمنون المسلمون إن الله هو الذي كلم موسى، قالوا: إن ابتداءه الكلام من الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يعني: ابتداءه من البيت. نعم.

فقلنا: هل يجوز الله أن يكون المكون غير الله أن يقول: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ ويقول: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ ﴾ وإني أنا ربك، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية .

إذن، يقول الإمام في الرد عليهم: هل يجوز أن يكون المكون غير الله؟ هل يجوز أن يكون المكون غير الله أن يقول: يا موسى؟

" المكون" يعني: مخلوق، هل يجوز أن يكون مخلوق غير الله يجوز أن يقول لموسى: يا موسى إني أنا ربك؟

من يجرؤ أن يقول لموسى: أنا ربك. من المخلوقات؟ هل يجوز أن يكون المُكَوَّن -يعني المخلوق- أن يقول: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ ويقول لموسى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ ﴾ ويقول: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ .

فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ما يمكن أن يكون مخلوق يقول لموسى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ يقول: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ ﴾ .

من قال ذلك فقد ادعى الربوبية. واضح هذا؟

ولا يمكن أن يكون مخلوق -يكونه الله ويخلق الله- ويقول لموسى هذا الكلام، هذا لا يمكن، لا ملك ولا غير ملك؛ لأن من قال ذلك فقد ادعى الربوبية، ومن ادعى الربوبية قصمه الله وأهلكه، كما قصم فرعون حين ادعى الربوبية عاقبه بالعقوبة، فهذا لا يمكن. نعم.

ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كَوَّن شيئا كان يقول ذلك المكون: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ ولا يجوز أن يقول: إني أنا الله رب العالمين .

نعم ، لا الشجرة الآن، يقول: خلق الله الكلام في الشجرة، فالشجرة قالت: إني أنا الله رب العالمين. يقول: هذا باطل، لا يمكن أن يكون مخلوق ويقول: إني أنا الله رب العالمين .

فمن زعم أن ذلك، لو كان كما زعم الجهمي أن الله كَوَّن شيء -يعني خلق شيئا- كان يقول ذلك المكون: يا موسى، إني أنا الله رب العالمين. كان على تقدير، أكان يقول ذلك المكون. يا موسى، إني أنا الله رب العالمين؟

استفهام تام، ولو كان -كما زعم الجهمي- أن الله كون شيئا، كان يقول، التقدير: أكان يقول، استفهام، أكان يقول هذا المكون: يا موسى، إني أنا الله رب العالمين؟ ولا يجوز أن يقول: "إني أنا الله رب العالمين" أحد إلا الله.

لو كان كما زعم الجهمي أن الله كَوَّن شيء -يعني خلقه- أكان يقول ذلك المكون: يا موسى، إني أنا الله رب العالمين. ولا يجوز أن يقول: إني أنا لله رب العالمين إلا الله، وقد قال. نعم.

ولا يجوز أن يقول: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وقد قال -جل ثناؤه-: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾

وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ وقال ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ .

هذه ثلاث آيات فيها إثبات أن الله -تعالى- كلم موسى، فقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

" كلم الله موسى" فيها إثبات أن الله كلم موسى، ثم أكد بالمصدر.

قال العلماء: إنه إذا جاء التأكيد بالمصدر صار لا يحتمل إلا الحقيقة، لدفع توهم المجاز، وأن المراد بغير التكلم.

"وكلم الله موسى"، ثم جاء "تكليما"، هذا مصدر، وهذا المصدر له فائدة عظيمة، ما هذه الفائدة؟

دفع توهم أن المراد غير الكلام، تأكيد بأن المراد بغير الكلام حقيقة، إذا جاء المصدر صار يدفع أن يتوهم أحد أن المراد غير الكلام الحقيقي.

وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ هذا يحتمل أنه غير الكلام الحقيقي، فلما جاءت: ﴿ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ خلاص، زال التوهم، زال التوهم، لا يمكن أن يتوهم أحد أن المراد به غير الكلام.

ثم استدل بالآية الثانية وهي صريحة، فقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ .

سبق أن بعض الجهمية تأوَّل الآية، حَرَّف الآية الأولى، حرفها قرأها: (وكلم اللهَ موسى تكليما الله) بالنصب، فقيل: إن هذا حتى يكون الله هو المُكَلَّم، وموسى هو المتكلِّم، والله لا يتكلم.

(وكلم اللهَ موسى)، فيكون موسى هو المتكلم، والله هو المُكَلَّم، ولا يتكلم، مُكَلَّم وهو ساكت، يعني: لا يتكلم، ولا يستطيع الكلام، أعوذ بالله.

موسى هو المتكلم، والله لا يتكلم، (وكلم اللهَ موسى تكليما) هذا تحريف، حَرَّف اللفظ والمعنى.

فقال له بعض أهل السنن الذي يناقشوه: هب يا عدو الله أنك استطعت أن تحرف هذه الآيات، فكيف تقول في قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ ؟

صريحة، "كَلَّمه ربه"، لا يستطيع أحد نفيها، الرب هو المكلم، فقال: المعنى: جرحه بأظافر الحكمة، جرحه بأظافر الحكمة، "كلمه": يعني جرحه، وقال: إن الكَلْم يأتي بمعنى الجرح، ومنه قولهم: جاء فلان وكَلْمه يدمى، يعني: جرحه يدمى.

وفى الآية الثالثة يقول الله تعالى: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ .

يقول الله -تعالى- خطابًا لموسى: ﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ ﴾ -يعني: يا موسى- ﴿ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ .

قال الإمام: فهذا منصوص القرآن. طيب.

وأما من قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يُكَلِّم، كيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ ؟ .

هذا جواب على قولهم: إن الله لا يكلم ولا يتكلم. رد عليهم بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ .

الترجمان: هو الشخص الذي يعبر، ينقل الكلام من لغة إلى لغة، يقال لها: ترجمة، فهو مترجم، والمعنى: أن كل واحد سيكلمه ربه بدون واسطة، ما في واسطة بينه وبين ربه، ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه واسطة مباشرة، يكلمه ربه، ما في واسطة، يترجم ملك ولا غيره، ليس بينه وبينه ترجمان.

يقول الإمام: كيف يفعلون بهذا الحديث؟ كيف يجيبون على هذا الحديث؟ الذين يقولون: إن الله لا يكلم ولا يتكلم، كيف يردون هذا الحديث؟ هذا الحديث رد عليهم صريح، ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ .

طيب، نعم.

شبههم في إنكار كلام الله

وأما قوله: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس قال الله للسماوات والأرض: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ أتراها قالت: بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ .

أتراهم يعني: رد عليهم بأدلة، وأما قولكم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، فلو أثبتنا أن الكلام لله للزم أن نثبت له جوفا وفما وشفتين ولسانا، وهذا في تشبيه بالمخلوق .

يقول الإمام -رحمه الله-: عندنا أدلة تدل أن هناك بعض المخلوقات تكلمت وليس لها لسان ولا جوف ولا شفتان، وإذا أمكن أن يكون بعض المخلوقات تتكلم، ولا نعلم الكيفية، وليس لها لسان، ولا شفتان، ولا جوف، فيمكن ذلك في الخالق من باب أولى.

هناك بعض المخلوقات تتكلم ولا نعلم الكيفية، ما ندري كيف، وليس لها لسان، ولا جوف، ولا شفتان، وإذا أمكن هذا في المخلوقات فإمكانه في الخالق من باب أولى.

فالسماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا ﴾ فأجابتا فقالتا: ﴿ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ هل السماوات لها جوف أو فم أو شفتان؟ وهل الأرض لها كذلك؟ نعم.

الأدلة على كلام الله

وقال: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ ﴾ أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ .

هذا دليل آخر في الرد عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ ﴾ الجبال تسبح مع داود -عليه الصلاة والسلام-، والجبال ليس لها إيش؟ جوف ولا فم ولا شفتان ولا لسان، كيف تتكلم؟ لا نعلم، الله أعلم، فإذن، الله من باب أولى يتكلم، ولا نعلم كيف يتكلم. نعم.

الرد على شبههم في إنكار كلام الله

والجوارح إذا شهدت على الكافر، فقالوا: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ تراها نطقت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ .

الجوارح يوم القيامة تشهد على الكافر، إذا أنكر الكافر أعماله السيئة وشركه ختم الله على فمه، وأنطق الجوارح ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ .

فإذا كانت الجوارح تشهد على الكافر، وليس لها فم، ولا لسان، ولا شفتان، فإمكان ذلك في الخالق من باب أولى. واضح؟

كذلك -أيضا- ثبت أن الحجر كان يسبح، قال النبي ﷺ ﴿ إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسبح ﴾ .

حجر يسبح في يد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، والطعام يسبح، كذلك الجذع الذي كان يخطب عليه النبي حَنَّ وصَاحَ كما يصيح الطفل، فنزل إليه ﷺ وجعل يهدئه كما يهدئ الصبي حتى سكت، ما له، الجذع ما له فم ولا لسان ولا شفتان.

فإذا كان بعض المخلوقات تتكلم، ولا نعرف كيف تتكلم، وليس لها لسان، ولا شفتان، ولا جوف، فإمكان ذلك في الخالق من باب أولى. ولهذا قال الإمام، نعم.

ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول بجوف ولا فم ولا لسان ولا شفتين .

يعني: كذلك الله أنطقها كيف شاء، فكذلك الله يتكلم كيف شاء، من غير أن نثبت شيئا لم يثبته الله ولا رسوله. نعم.

بهتان جهم

قال أحمد ﷺ فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره .

"فلما خنقته الحجج" يعني: الجهمي لما أُلزِم بالحجج، وصار كالشخص المخنوق، الذي خُنق نَفَسُه، الحلق، ما استطاع يجاوب، يعني: لزمته الحجج وخنقته، مثل الشخص الذي خُنق حلقه بحبل أو غيره، ماذا قال؟

قال: خلاص، خنقته الحجج، قال: الله كلم موسى. وافق، إلا أن كلامه غيره، جاء من جهة أخرى، فيروغ كما يروغ الثعلب، في الأول يقول: إن الله ما كلم موسى، فلما خنقته الحجج قال: الله كلم موسى. إلا أن كلام الله غير الله، فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم، وغيره مخلوق. يعني: جاء من جهة أخرى، فأجاب من جهة، ووافق من جهة، وأنكر من جهة أخرى.

في الأول يقول: لم يكلم الله موسى. فلما خنقته الحجج قال: الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره.

فقال له الإمام أحمد: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. فقال: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون الشنعة عن أنفسكم.

إقرار جهم وروغانه

فلما خنقته الحجج قال: إن الله كلم موسى، إلا أن كلامه غيره. فقلنا: وغيره مخلوق؟ قال: نعم. فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون .

نعم، يعني يقول: إنكم وافقتم من جهة، وأنكرتم من جهة، وصل إلى قوله الأول أن القرآن مخلوق من جهة أخرى، في الأول يقول: القرآن مخلوق، كلام الله مخلوق. فلما خنقته الحجج، في الأول يقول: لم يكلم الله موسى، فلما خنقته الحجج قال: كلم الله موسى، إلا أن كلامه غيره، وغيره مخلوق. قال الإمام: هذا مثل قولكم الأول، إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة -يعني: الشناعة- بما تظهرون.

حديث موسى لقومه بعد كلام الله له

وحديث الزهري قال: "لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب، هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى، هو كلامي، وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لُمت. قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك. قال: سبحان الله! وهل أستطيع أن أصفه لكم؟ قالوا: فشبهه. قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تخبر في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله" .

هذا الأثر عن الزهري، رواية الزهري هذه أخرجها الدارمي في الرد على الجهمية، وابن بطة في كتاب "الإبانة"، وعبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب "السنة"، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، ومن المفسرين ابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن كثير، هذه رواية، لكنها موقوفة على كعب الأحبار.

وكعب الأحبار هذا يأخذ عن بني إسرائيل الغث والسمين، وفي سنده -أيضا- مجهول، وهو جزء بن جابر الخثعمي.

إذن، رواية الزهري هذه ذكرها الحافظ ابن كثير -مع اختلاف في اللفظ- عن كعب الأحبار، وفي سنده مجهول، وهو جزء بن جابر الخثعمي، فيكون ضعيفا.

ضعيف ليش؟ لأن في سنده مجهول، وهو جزء بن جابر الخثعمي، ولو كان السند صحيحا، وليس فيه مجهول، لكان ضعيفا من جهة أنه -أي: كعب الأحبار- ينقل عن بني إسرائيل؛ لأنه كان تابعيا أسلم في زمن عمر بن الخطاب، وهو من أهل الكتاب، من أهل الكتاب، من بني إسرائيل، أسلم، وينقل عن بني إسرائيل الغث والسمين، فهذا المأخذ عن بني إسرائيل. واضح هذا؟

ورُوي -أيضا- من طريقٍ أخرى، من طريق جابر بن عبد الله، وفي سنده الفضل بن عيسى الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، وأخرجه ابن أبي حاتم وابن كثير، وهو موقوف على جابر، وفي سنده الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف بالمرة، منكر الحديث، وتكلموا فيه.

ولو فرضنا أن هذا السند موقوف على جابر وليس فيه الفضل بن عيسى، لكان ضعيفا أيضا؛ لأنه ممن أخذ عن بني إسرائيل.

فتكون هذه الرواية -رواية الزهري عن كعب الأحبار، أو الطريق الأخرى، طريق جابر- لو كان سندها مثل الشمس متصلا، لكان ضعيفا، لماذا؟ لأنه من أخبار بني إسرائيل، وأخبار بني إسرائيل لا تُصَدَّق ولا تُكَذَّب.

كيف في رواية الزهري في سندها جزء بن جابر الخثعمي وهو ضعيف؟ ورواية جابر في سندها الفضل بن عيسى وهو ضعيف بالمرة؟

فيكون هذان موقوفان، وهو من أخبار بني إسرائيل، وكلام الله وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يعلم كيفيته إلا هو. واضح هذا؟ هذا الأثر لا يعول عليه؛ لضعفه وكونه من أخبار بني إسرائيل، لضعفه؛ فإن ضعفه شديد متناهٍ.

ثم -أيضا- ليس من كلام الرسول -عليه الصلاة والسلام- من كلام كعب الأحبار، وهو من بني إسرائيل، ممن يأخذ عن بني إسرائيل، أو من كلام جابر إن صح السند ووصل إلى جابر، بس لا يصح السند؛ لأن في سنده رواية في سندها الفضل بن عيسى الرقاشي، ولكنه متكلم عليه، تكلموا عليه بأنه ضعيف بمرة، وهناك من قال: إنه خبيث، وإنه كذا، أو يروي المنكرات.

وكذلك الطريق الأخرى عن كعب الأحبار في سنده جزء بن جابر الخثعمي، فلا يُعَوَّل على هذا الأثر.

وفيه تشبيه لكلام الله، والله -تعالى-، كلام الله وصفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ولا يعلم كيفيتها إلا هو.

يبقى الإشكال: لماذا ذكره الإمام أحمد -رحمه الله- إمام أهل السنة؟ لم ذكره هنا، مع أنه أثر ضعيف عن بني إسرائيل؟

نقول: كما يذكر الأحاديث الضعيفة في المسند، مسند الإمام فيه أحاديث ضعيفة، إذا ذكر السند خلاص، يذكر السند وينتهي، حقق.

يعني: **العلماء قسمان:**

قسم من العلماء لا يذكر إلا الأحاديث الصحيحة، مثل البخاري ومسلم.

وقسم من العلماء يذكرون في الأحاديث الصحيح والضعيف، مثل السنن الأربع، فيها الضعيف، وفيها الصحيح، وفيها الحسن، سنن أبي داود، جامع الترمذي، سنن ابن ماجة، سنن النسائي، مسند الإمام أحمد.

فيها الضعيف، وفيها الحسن، والعلماء يؤلفون ويذكرون السند، وإذا ذكروا السند خرجوا من المعضلة والمسئولية.

أنت تبحث عن السند، هذا السند أمامك الآن، تعرف هل هو صحيح ولّا ضعيف؛ وإنما يذكرونه لأنهم يذكرون ما ورد في هذا الباب، ما ورد في هذا الباب يُذْكَر، تعلم أن هذا الموجود من الأحاديث في هذا الباب، سواء أحاديث ضعيفة وغير ضعيفة، تعلم أن ورد في هذا الباب هذا الحديث الضعيف.

إذن، هذا لا يُعَوّل عليه، ولو لم يذكر -رحمه الله- لكان أولى؛ لأنه لا يعول عليه، أثر ضعيف من أخبار بني إسرائيل لا يعول عليه، باطل هذا، أثر باطل لا يعول عليه. واضح هذا؟ كل النصوص كافية، النصوص مثل الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة كافية في إثبات كلام الله ﷻ فيها غنية، وفيها

الكفاية: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ .

والنصوص كثيرة من الكتاب والسنة في إثبات كلام الله، فلا حاجة إلى مثل هذا الأثر الضعيف الباطل، الآثار الإسرائيلية الضعيفة. نعم.

كلام الله لعيسى دليل على كلام الله

فقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟.

أليس الله هو القائل؟

قال: قالوا: يُكَوِّن الله شيئا، فيعبر عن الله كما كونه فعبر لموسى .

الإمام –رحمه الله– يناقش الجهمية، يقول: قلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة يخاطب عيسى: ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ .

أليس الله هو القائل يخاطب عيسى؟

ماذا قالت الجهمية؟

قال: قالوا: يكوِّن الله شيئا فيعبر عن الله، كما كونه فعبر لموسى، يعني: يخلق الله مخلوقا ينادي عيسى، ويقول: يا عيسى، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟.

شوف –والعياذ بالله– الجرأة العظيمة، يعني: تقول الجهمية: الله لا يكلم عيسى يوم القيامة. من الذي يكلمه؟ مخلوق يخلقه الله يكلم عيسى، فيقول: يا عيسى، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله.

كما أنه كوَّن مخلوقًا فكلم موسى في الدنيا، ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ الله ما كلمه، وإنما خلق مخلوقًا فكلم موسى، واضح هذا؟

قال: قالوا: يكون الله شيئا فيعبر عن الله، كما كَوَّنه فعبر لموسى.

سؤال الله الناس دليل على كلام الله

قلنا فمن القائل: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ أليس هو الله؟ أليس اللهُ هو الذي يسأل؟ قالوا: هذا كله إنما يكون شيئا .

يعني يقول الإمام أحمد، قال: سألهم سؤالا آخر قال: فمن القائل: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

أليس هو الله هو الذي يسأل؟ يسألهم يوم القيامة، يسأل المرسلين، ويسأل المرسل إليهم، قالوا: هذا كله إنما يكوِّن شيئا فيعبر عن الله، يكوِّن مخلوقا فيعبر عن الله، فيقول: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

إنكار كلام الله فرية عظيمة

فعبر عن الله، فقلنا: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم، فشبهتموه بالأصنام التي تُعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان .

يعني: إذن أجاب الإمام قال: "قلنا: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم، فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله".

ومعنى ذلك: أنكم تنقصتم الله، جعلتم الله كالأصنام، والأصنام لا تتكلم، ولا تجيب، فجعلتم الله مثل الأصنام -نعوذ بالله- التي لا تتكلم، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان. نعم.

قول جهم لله كلام لكنه مخلوق

فلما ظهرت عليه حجته قال: إن الله قد يتكلم، ولكن كلامه مخلوق .

نعم. لما ظهرت الحجة على الجهم ماذا أجاب؟ لما خنقته الحجج -كما سبق- قال: إن الله قد يتكلم، لكن كلامه مخلوق. يعني: وافق من جهة، وأنكر من جهة أخرى، لما قامت عليه الحجة، وظهرت عليه الحجة، في الأول يقول: لا يتكلم. فلما ظهرت عليه قال: إن الله يتكلم، إلا أن كلامه مخلوق.

تشبيه كلام الله لكلام الناس

قلنا: وكذلك بنو آدم كل كلامهم مخلوق، فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق.

يعني: يقول في الجواب: "وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق". يعني: ما دام كلام الله مخلوق، إذن كلام بني آدم مخلوق، فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، قلتم: إنه يتكلم، وكلامه مخلوق، إذن بنوا آدم كلامهم مخلوق.

فشبهتم الله بخلقه، جعلتم كلام الله مثل كلام بني آدم، كلام بني آدم مخلوق، وكلام الله مخلوق. نعم.

معنى خلق التكلم عدمه في الماضي

ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنوا آدم، كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما .

هكذا يقول: ففي مذهبكم أيها الجهمية قد كان -يعني: الرب- في وقت من الأوقات لا يتكلم -عاجز عن الكلام-حتى خلق التكلم فتكلم، وكذلك بنو آدم، كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم الكلام. نعم.

جمع الجهمية بين الكفر والتشبيه

وقد جمعتم بين كفر وتشبيه، فتعالى الله عن هذه الصفة .

كيف تجمعوا بين كفر وتشبيه ؟ الكفر: أنكروا كلام الله، وتشبيه: شبهوه بالمخلوقين.

جمعتم أيها الجهمية بين الكفر، حيث أنكرتم كلام الله، ومن أنكر أن يكون الله متكلما كفر، ومن أنكر أن يكون القرآن كلام الله فقد كفر.

والتشبيه: حيث قلتم، شبهتهم الله ببني آدم الذين لا يتكلمون حتى يخلق الله لهم كلاما. نعم.

كلام الله صفة أزلية

بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلامًا .

بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، هذا معتقده الحق -جزاك الله خيرا- إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، متى شاء، كيف شاء.

هذا معتقده الحق، إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، ومتى شاء، والله -تعالى- والكلام صفة من صفاته -سبحانه وتعالى-، ولا يخلو الله من هذه الصفة، الكلام هو من صفاته هو كمال، ولا يمكن أن يخلو الله من الكمال في وقت من الأوقات؛ بل الرب -سبحانه وتعالى- لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء -سبحانه وتعالى-.

والله -تعالى- بائن من خلقه بذاته وصفاته، وكلام الله ليس متحدًا فيهم، ولا حل فيهم، فسبحانه مباين بذاته وصفاته. نعم.

صفات الله كلها أزلية

ولا نقول: إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلامًا، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علمًا، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة، ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة .

نعم، بل نقول: إن الله -تعالى- لم يزل متصفًا بالصفات، لم يزل يتكلم، ولم يزل قادرًا، ولم يزل عالمًا -سبحانه وتعالى-، ولم يزل له نور -سبحانه وتعالى-، صفة من صفاته، ولا نقول كما تقول الجهمية، الجهمية يقولون: إنه لا يتكلم حتى خلق لنفسه كلاما.

هذا باطل؛ بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء. والجهمية يقولون: إنه لا يعلم حتى خلق لنفسه علمًا. هذا باطل؛ بل إن الله لم يزل عالمًا.

والجهمية يقولون: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة. وهذا باطل؛ بل إن الله -تعالى- لم يزل قادرًا، ولم يزل عالمًا، ولم يزل سميعًا.

ولا نقول: إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، فنقول: هذا يكون باطل؛ لم يزل الله -تعالى- متصفا بصفاته، ومن صفاته النور، وهو غير النور المخلوق الذي احتجب به عن خلقه. نعم.

ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلق لنفسه العظمة، كل هذا نفي لأقوال الجهمية. نعم.

رد الجهم على القول بأزلية صفات الله

فقال الجهمي لنا: لما وصفنا الله بهذه الصفات .

فقال الجهمي لنا: لما وصفنا الله بهذه الصفات يعني: قلنا: إن الله -تعالى- لم يزل متكلمًا، ولم يزل عالمًا، ولم يزل قادرًا، ولم يزل عظيمًا، ولم يزل متصفا بصفاته. نعم. لما وصفنا بهذه الصفات، قال الجهمي.. نعم.

شبهة الجهم: أن أزلية الصفات تشبه بالنصارى والكافرين

فقال الجهمي لنا -لما وصفنا الله بهذه الصفات-: إنْ زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته .

يقول الجهمي: "إذا قلتم: إن الله ونوره، -الذي هو صفة من صفاته- والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى". يعني: بتعدد الأرباب والآلهة.

النصارى يقولون: إن الآلهة ثلاثة، والأرباب ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، وأنتم أثبتم أربابا متعددة، الله رب، والنور رب، والقدرة رب، وكذلك جميع الصفات، والعلم رب.

فقد قلتم بتعدد الآلهة مثل النصارى، ما الفرق بينكم وبين النصارى؟

إذا أثبتم الصفات لله قلتم بالتعدد، إذا قلتم: إن الله لم يزل ونوره، ولم يزل والله وقدرته، والله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بالتعدد، تعدد الأرباب والآلهة، وهذا من شبه الجهمية، يقولون: من أثبت الصفات فقد قال بتعدد الآلهة، قال بتعدد القدماء، والقديم هو واحد، وهو الله.

فإذا قلتم: إن له صفات قديمة فقد قلتم بالتعدد، إذا قلتم: إن العلم قديم، والرحمة قديمة، صفة الرحمة، وصفة العلم، وصفة القدرة، وصفة السمع كلها قديمة، معناه: قلتم بتعدد الأرباب والآلهة، قلتم بتعدد القدماء وتعدد الخالقين، والله واحد لا يتعدد. هذه من شُبَه الجهمية.

القول بأزلية الصفات بلا كيف أو تشبيه

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر، وكيف قدر .

نعم، إذن الإمام يقول: لا نقول إن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته، بل نقول: إن الله لم يزل بقدرته، ولم يزل بنوره، ولم يزل بعلمه، لا متى قدر، ولا كيف قدر، يعني: لا يُسأل عن الزمان، ولا عن المكان، ولا عن الكيفية.

نقول: إن الله -تعالى- لم يزل متصفا بالصفات، لم يزل متصفا بالصفات، لم يزل بنوره، ولم يزل بقدرته وعلمه.

"لا متى قدر". ما نقول: إنه في وقت من الأوقات قدر ثم قدر بعد ذلك، ما نحدد زمانا.

"ولا كيف قدر". ولا نكيِّف، ما نقول إن قدرته وكيفيته كذا، نوره وكيفيته كذا، علمه وكيفيته كذا، ما نكيف.

ولا نقول: متى. ما نسأل عن الزمان، ما نقول: إنه في وقت من الأوقات ليس له قدرة، ثم خلق قدرة. "لا متى قدر، ولا كيف قدر".

ثم -أيضا- جواب آخر، سيأتي الجواب بعد هذا، وهو أن الله -تعالى- بذاته وصفاته هو الخالق، وليس هذا تعدد الصفات، ما هو تعدد، الله -تعالى- واحد بذاته وصفاته، العلم والقدرة والسمع والبصر، كلها صفات لله، هو -سبحانه وتعالى- واحد متصف بالصفات، فالواحد المتصف بالصفات ما يقال: إنه متعدد، لكن هذا من تلبيس الجهمية. نعم.

قول الجهمية: قد كان الله ولا شيء

فقالوا: لا تكونوا موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء .

فقال الجهمية: "لا تكونوا موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء".

يعني: ولا شيء معه حتى الصفات، لا تكونوا موحدين حتى تنفوا الصفات؛ لأن الصفات أشياء، لا تكونوا موحدين حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء معه.

"لا شيء معه" يعني: لا صفة العلم، ولا القدرة، ولا السمع، ولا البصر ولا شيء من صفاته. نعم.

كان الله بذاته وصفاته ولا شيء سواه

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء، ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها. أليس إنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته؟ .

نعم، يقول: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. "قد كان الله" يعني: بذاته وصفاته، قد كان الله ولا شيء من المخلوقات معه، قد كان الله ولا شيء، كما في الحديث: ﴿ كان الله و لم يكن شيء معه، كان الله و لم يكن شيء قبله ﴾ .

فنقول: قد كان الله ولا شيء، وإذا قلنا: قد كان الله. فهذا شامل لذاته وصفاته، الله -تعالى- هو الخالق بذاته وصفاته، وليس بمخلوق، صفاته متصلة بالعلم والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والإرادة، إلى غير ذلك من الصفات.

فهل الصفات شيء غير الله؟

الله بذاته وصفاته هو الخالق، فنحن نقول: قد كان الله ولا شيء. قد كان الله بذاته وصفاته، ولا شيء معه من المخلوقات.

وإذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته. فإنما نصف إلهًا واحدًا بجميع صفاته، ضرب الإمام مثلا في ذلك. نعم.

صفات الذات لا تنفك عنها

وضربنا لهم في ذلك مثلا، فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة، أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمَّار، واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها، وكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته، إله واحد .

الإمام أحمد ضرب لهم مثلا بالنخلة، النخلة لها جذع، معروف جذعها، ولها كرب تمسك حينما يرقى على النخلة، ولها كرب وليف وسعف وخوص وجمَّار، واسمها شيء واحد: النخلة، الصفات كلها صفات لها.

ولكن هل يقال: إنها متعددة، ولّا هي نخلة؟

نخلة بجميعها، اسم النخلة يشمل الجذع والكرب والليف والسعف والخوص والجمَّار كلها، واسمها اسم شيء واحد، وهو النخلة، سميت النخلة، فكذلك الله بجميع صفاته هو واحد -سبحانه وتعالى-، الله -سبحانه وتعالى- متصف بصفاته، بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة والحياة كلها، فالله بذاته وصفاته واحد، هو الخالق -سبحانه وتعالى- هذا المثال الأول. نعم.

لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز .

نعم، لا نقول في وقت ما له قدرة حتى خلق القدرة؛ لأنه بهذا يكون عاجزا في وقت من الأوقات، وهذا نقص. نعم.

ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق العلم .

كذلك لا نقول: إنه في وقت من الأوقات ليس له علم حتى خلق العلم؛ لأن الذي لا يعلم هو جاهل، والله -تعالى- منزه عن ذلك. نعم.

صفات الله قديمة أزلية لم تنفك عنه في وقت من الأوقات

حتى خلق العلم فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالمًا قادرًا مالكا، لا متى ولا كيف .

نعم، نقول: لم يزل الله متصفا بالصفات من العلم والقدرة والملك وغيره، لم يزل عالمًا مالكًا قادرًا، لا متى ولا كيف، متى تحديد للزمن، وكيف للكيفية، لا نقول: كيفية العلم كذا، ولا كيفية القدرة كذا، ما نكيف، الله أعلم بالكيف.

"ولا متى": لا نقول: متى كان له العلم؟ لم يزل -سبحانه و تعالى- متصفا بالعلم، ما نحدد زمانا، ما نقول: متى، ما يُسأل عن متى، متى كان له العلم؟ يعني في وقت من الأوقات له علم وفي وقت ليس له علم؟! لا ، ما يسأل بـــ"متى"، لا متى ولا كيف، لا تسأل عن الزمن، ولا تسأل عن الكيفية. نعم.

مثال على أن الصفة لا تنفك عن الذات

وقد سمى رجلا كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ۝١٢ ﴾ . وقد كان هذا الذي سماه وحيدًا له عينان وأذنان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته، فكذلك الله -وله المثل الأعلى- هو بجميع صفاته إله واحد .

هذا المثال الثاني، المثال الثاني الوليد بن المغيرة، سماه الله وحيدًا قال: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا ۝١٢ ﴾ .

سَمَّاه الله وحيدا، لكن ما له صفات؟ له عينان، وله أذنان، وله يد، وله رجل، وله سمع، وله بصر، وله علم، وله قدرة، وسمَّاه وحيدا، وحيد، وحيد من صفاته، هو شخص واحد، ما هو اثنين، لكن له

صفات، فسماه الله وحيدا وله عينان وأذنان، ولسان وشفتان، ويدان وجوارح، فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته، فكذلك الله -وله المثل الأعلى- هو بجميع صفاته هو إله واحد. نعم.

باب صفة الاستواء

بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، فقلنا: لم أنكرتم ذلك أن يكون الله على العرش، وقد قال -جل ثناؤه-: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ .

وقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ .

وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ .

هذا الباب في إثبات علو الله ﷻ واستوائه على العرش، الجهمية ينكرون أن يكون الله فوق، يقولون: هو في كل مكان، تحت وفوق، وفي الأرض السابعة، وفي كل مكان، تعالى الله عما يقولون.

وأنكروا أن يكون الله على العرش، وأنكروا أن يكون الله فوق، فقال لهم الإمام أحمد: لم أنكرتم ذلك أن يكون الله على العرش؟ وقد قال -جل ثناؤه-: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ .

وقال: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ .

وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾ .

والإمام -رحمه الله- وضع ثلاث آيات، آيات الاستواء في سبعة مواضع في القرآن الكريم كلها في إثبات العرش، استواء الله على العرش:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ هذه في سورة "طه".

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ في سورة "يونس".

وفي سورة "الرعد"، وفي سورة "طه"، وفي سورة "الفرقان"، وفي سورة "السجدة"، وفي سورة "الحديد" وفي سورة "الرعد".

سبعة مواضع فيها إثبات الاستواء على العرش، وكلها جاء فيها "على" التي تدل على العلو والارتفاع، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ نعم.

سوف أسألكم عن الآيات السبع في القرآن في الدرس القادم -إن شاء الله- سبع آيات فيها إثبات استواء الله على العرش، لا بد تتأملوها، وأنا ذكرتها لكم هذه السور الآن: "يونس"، "الرعد" ، "طه" ، و"الفرقان" ، و"السجدة" ، و"الحديد" ، و"الأعراف". نعم.

مذهب الجهمية: الله في كل مكان

فقالوا: هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، لا يخلو منه مكان، ولا يكون مكان دون مكان، وتلوا آية من القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ .

إذن، هذا مذهب الجهمية، قالوا: إن الله تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، في كل مكان، هو على العرش، وتحت الأرض السابعة، وفي السماوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان.

وتلوا آية من القرآن شبهوا بها: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ .

قالوا: الآية دليل على أن الله في السماوات وفي الأرض.

سيجيب الإمام -رحمه الله- نعم.

الرد على ما زعموه أن الله في كل مكان

وتلوا آية من القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ .

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ قلنا: أجسامكم وأجوافكم، وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة والأماكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء .

نعم، يقول الإمام -رحمه الله-: عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها شيء من عظمة الرب، منزه عنها الرب -سبحانه وتعالى-، فقالوا: أي مكان؟ قال: أجسامكم وأجوافكم، وأجواف الخنازير، والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها شيء من عظمة الرب، والله -تعالى- فوق العرش، فوق السماوات، بعدما تنتهي السماوات سقف عرش الرحمن، والله فوق العرش. نعم.

الله في العلو

قد أخبرنا أنه الله في السماء، فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ ﴾ .

وقال: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ .

وقال: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ .

وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ ﴾ .

قال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ .

وقال: ﴿ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ .

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ .

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ .

هذه كلها نصوص في إثبات العلو، والنصوص التي تدل علي أن الله في العلو يقول العلماء: تزيد على ثلاثة آلاف دليل أفرادا، تزيد على ثلاثة آلاف، لكن هذه أمثلة منها، قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ -وهو الله- ﴿ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ ﴾ .

وقال: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ .

والصعود إنما يكون من أعلى إلى أسفل، دل على أن الله في العلو.

﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ والرفع إنما يكون من أسفل إلى أعلى.

وقال لعيسى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ والرفع من أي شيء؟ من أسفل إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو.

وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ .

وقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الملائكة.

له ملك السماوات والأرض، ملكًا.

ثم قال: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ في العلو -وهم الملائكة- ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ .

لو كان قوله: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ تفيد العلو، لكان لم يكن لهم ميزة الملائكة، الملائكة لهم ميزة، "ومن عنده" في العلو.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ثم خص الملائكة فقال: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ في العلو، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ .

وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ .

وقال: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ العروج إنما يكون من أسفل إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو.

قال: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ .

قال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ .

هذه أمثلة، والنصوص التي فيها العلو كثيرة. نعم.

وصف الله نفسه بالعلو وذم أهل السفل

فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذمومًا.

يقول الله -جل ثناؤه-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩ ﴾ .

وقلنا لهم: أتعلمون أن إبليس كان مكانه، والشياطين مكانهم، فلم يكن الله بمجتمع هو وإبليس في مكان واحد؛ وإنما معنى قوله -جل ثناؤه-: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ يقول: هو إله من في السماوات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط بعلمه ما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ .

إذن، أجاب الإمام -رحمه الله- قال: أنتم أيها الجهمية تقولون: إن الله في كل مكان، في الأسفل، وفي الأعلى.

أجاب الإمام قال: وجدنا كل شيء أسفل هو مذموم، كل شيء أسفل هو مذموم، أتجعلون الله مع المذمومات؟! تعالى الله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩ ﴾ .

إبليس أين مكانه والشياطين؟ أسفل. فلم يكن الله بمجتمع هو وإبليس في مكان واحد، تعالى الله.

ثم أجاب على استدلالهم بالآية: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ .

قال: المعنى: هو إله ما في السماوات، وإله من في الأرض، وهو الله في السماوات، يعني: إله من في السماوات، وإله من في الأرض، وهو -سبحانه- فوق العرش، وفوق العلو، لكن هو إله من في السماوات، معبود من في السماوات، ومعبود من في الأرض، يعبده أهل السماوات، ويعبده أهل الأرض.

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ يعني: إله من في السماوات، وإله في الأرض.

وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان.

علمه شامل لكل شيء، في كل مكان، أما ذاته -سبحانه- فهو فوق العرش.

بعض المفسرون فسر: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ ﴾ المراد علمه، علمه في السماء كما أن علمه في الأرض، والإمام هنا فسرها بأنه معبود من في السماء، ومعبود من في الأرض، وعلمه في كل مكان.

ولهذا قال -سبحانه-: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ نعم.

ثم ذكر تنظير. نعم.

أمثلة على صفة العلو وإحاطة العلم

ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صافٍ، وفيه شراب صافٍ، كان بصر بن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون بن آدم في القدح، ولله المثل الأعلى، قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه .

هذا المثال الأول، ذكر مثالين توضيحيين لإثبات إحاطة علم الله وهو على العرش.

"ولو أن رجلا في يده قدح من قوارير صاف، زجاجة فيها شراب صاف، كان بصر بن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون بن آدم في القدح".

أنت لما يكون معك زجاجة الآن، صافية وفيها شراب صاف، ألا تنظر؟ بصرك ينظرها، هل تحيط بها؟ علمك محيط بها، وتعرف ما فيها، وأنت لست داخلا في الزجاجة؟

فكذلك الله –وله المثل الأعلى– فوق العرش وهو يعلم خلقه، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

كما أن الإنسان إذا كان في يده الزجاجة، وفيها شراب صاف، يعلمها ويحيط به علمه، وهو ليس داخلا فيها، فكذلك الله فوق العرش، وهو يعلم أحوال عباده، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم. نعم.

وخصلة أخرى: لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها، وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فإن الله –وله المثل الأعلى– قد أحاط بجميع ما خلق، وقد علم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق. قاله أحمد رحمه الله .

يعني: المثال الثاني يقول: لو أن شخصا بنى دارا، بنى دارا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها، وخرج منها، فأنت هذه الدار التي بنيتها تعرف حالها، تعرف الآن كم فيها من المجالس؟ تعرف فيها مجلسين، تعرف فيها صالة، تعرف فيها ثلاث غرف أسفل، تعرف الدور الثاني كم غرف، لأنك أنت اللي مفصلها، فصلتها وبنيتها، فإذا خرجت من الدار هل يخفى عليك شيء منها؟ ما تخفى عليك.

تدري كم عدد الغرف، وكم سعتها، وكم مساحتها؛ لأنك أنت الذي بنيتها، وأنت خارج الدار تعرفها وأنت خارج الدار.

فكذلك الله –وله المثل الأعلى– قد أحاط بجميع خلقه، وقد علم كيفية هو، وما هو، أحاط بجميع خلقه، وقد علم بكيفية خلقه، وماهيتهم، وحقيقتهم من غير أن يكون فيهم؛ بل هو فوق العرش، هو فوق العرش ويعلم أحوال عباده ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يعني: إذا كان الإنسان إذا بنى بيتا، ويعرف مساحته، وكم عدد الغرف، وكم فيه، وهو خارج الدار لا يخفى عليه، تقول: دارك الفلانية التي بنيتها كم مساحتها؟ يقول: مساحتها خمسمائة في خمسمائة، أو أربعمائة في أربعمائة، لأنه هو عند مخططها، وكم فيها، لما يريد يبيعها أو صف لي بيتك؟ المساحة كذا

وكذا، والمجلس مساحته كذا، والمجلس الثاني مساحته كذا، والصالة مساحتها كذا، وفي الدور الأسفل فيه ثلاث غرف، والدور الأعلى فيه ثلاث غرف، وفيه كذا، ويصفها، وإن كان خارج البيت.

فكذلك الله -وله المثل الأعلى- هو فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمال عباده ولا أحوالهم، هو الذي خلقهم، يعلم أحوالهم، وكيفيتهم، وماهيتهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ نعم.

نقف على هذا، وفق الله الجميع.

فيه أسئلة؟

يعني: كل شيء تحت العرش أحاط به، والعرش منها، أن علمه لا يخفى عليه شيء، يعلم جميع مخلوقاته، العرش والسماوات والأرضين وما فيها، وهو فوق العرش -سبحانه وتعالى-.

هم يقولون: القرآن مخلوق، القرآن كلام الله وليس كلام الله مخلوق، فلا يكون صفة من صفاته، ينكرون أنه يكون صفة من صفاته، في الأول أنكروا أن يكون تكلم، ثم قالوا: إنه تكلم ولكنه مخلوق.

ففي الحالتين أنكروا كلام الله، خلقه لا يكون صفة من صفاته، هل خلقه صفة من صفاته؟ لو كان خلقه صفة من صفاته نقول آدم صفة لله، ما يقولها عاقل. نعم.

س: فضيلة الشيخ، قلتم: إن الجهمية إذا سئلوا: هل الله شيء؟ يقولون: شيء لا كالأشياء. أليس أهل السنة والجماعة يثبتون أن الله شيء لا كالأشياء، أي: لا يشبه الأشياء؟ فما الفرق بين ما يعتقده أهل السنة والجهمية؟ .

ج: الجهمية يقولون: إن الله لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، من وجوه الشبه، فيشمل مع الشيء الذي يكون في الذهن حينما يقطع عن الإضافة، لفظ موجود، لفظ علم، لفظ سمع، لفظ بصر، هذا لا بد من إثبات هذا النوع من الشبه، فمن لم يثبت هذا النوع أنكر وجود الله.

إذا قلت: موجود. كلمة موجود، يشمل وجود الخالق ووجود المخلوق، ولّا ما يشمل؟

من أنكر، من قال: إن الله لا يشبه المخلوق ليس بموجود أنكر هذا النوع، ومن أنكر هذا النوع فقد أنكر وجود الله، لا بد أن تثبت نوعًا وجها من وجوه الشبه بين الخالق والمخلوق، ما هو؟ حينما يقطع عن الإضافة والاختصاص، إذا قلت: لفظ وجود، لفظ سمع، لفظ وجود يشمل وجود الخالق ووجود المخلوق، لفظ السمع يشمل سمع المخلوق وسمع الخالق، لفظ بصر يشمل بصر الخالق وبصر المخلوق، هذا لا بد من إثبات هذا النوع، لكن متى يزول الاشتراك؟ إذا أضفت وخصصت، فمن أنكر هذا النوع معناه أنكر وجود الله. واضح هذا.

أهل السنة يقولون: إن الله لا يشبه المخلوقات، إن الله -تعالى- لا يشبه شيئا من خلقه. نعم ، لكن هذا النوع من الشبه ما يكون في الذهن، متى يكون خلقًا؟ إذا أضيف وخُصص، فالله -تعالى- لا يشبه المخلوقات، نعم صحيح.

لكن ليكن بوجه من الوجوه، نسيت معناه، المعنى الاشتراكي، المعنى المشترك في الذهن، لا بد أن تثبت هذا النوع. نعم .

س: فضيلة الشيخ، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى أثرًا عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- لما كان يطوف حول الكعبة هو وبلال -رضي الله عنهم-، حيث إنه قال: دعنا نتراءى الله. فما هو المقصود من قوله: نتراءى؟ .

ج: يعني: المراد قدرة الله وآثار الله كما بين الشيخ ابن تيمية، يعني: قدرة الله، وآثار قدرة الله، نعم هذا المقصود .

س: ما معنى قول النبي ﷺ ﴿ سبحات وجهه ﴾ . .

ج: قال بعض الصحابة: أنواره أنوار بصره -والله أعلم- السبحات، ﴿ لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ﴾ .

ظاهر النور، يعني: ظاهر النور، حجابه النور، ﴿ لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ﴾ فظاهر الحديث أنها الأنوار، وأن الإنسان لا يثبت لعظمة الله ﷻ ولو كشفها لأحرقت سبحات وجه، ظاهره النور -سبحانه وتعالى-.

س: فضيلة الشيخ، في الحديث: ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه .. ﴾ .

حجابه: والحجاب -حجاب الله- يحتجب به عن خلقه، احتجب بالنور، ولكن هذا النور الذي احتجب به مخلوق، وهو غير النور الذي هو صفة من صفاته. نعم.

س: في الحديث: ﴿ ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ﴾ هل تكليم الله مقتصر على المؤمنين، أم أنه يشمل المؤمن والكافر؟ .

ج: الرسول -عليه الصلاة والسلام- يخاطب المؤمنين، يخاطب المؤمنين، فهم يكلمون الله، ويرون الله -عز وجل-ن أما الكفار فالآيات فيها أنهم يحجبون ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وإن كلمهم الله كلام غضب هم لا يرونه، كما يكلم أهل النار ويقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

ولا يرون الله، وقال بعض العلماء: إن أهل الموقف جميعًا يرون الله، مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار، فلا يرونه بعد ذلك.

وهذه الرؤية التي يرونها لا يستفيدون منها، إنما رؤية النعيم تكون في الجنة للمؤمن خاصة.

وقال شيخ الإسلام وغيره ممن أثبت هذه الرؤية: مثل ما أن السارق يؤتَى به للحاكم ويراه، ولا يستفيد من هذه الرؤية، يراه وهو غاضب عليه ويعذب.

فالرؤية لأهل الموقف فيها ثلاث أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

والقول الثاني: أنه يراه جميع أهل الموقف، مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار.

والقول الثالث: أنه لا يراه إلا المؤمنون والمنافقون؛ لأن المنافقين كانوا مع المؤمنون في الدنيا.

هذه أقوال لأهل العلم في الرؤية في الموقف، أما الرؤية في الجنة خاصة بالمؤمنين معروفة.

كذلك التكليم، التكليم فيه ثلاثة أقوال لأهل العلم:

قيل: إنه يكلم أهل الموقف جميعًا.

وقيل: يكلم المؤمنين والمنافقين.

وقيل: يكلم المؤمنين.

ثلاث أقوال. نعم.

س: فضيلة الشيخ، هذا السائل متحرج يقول: إنني مسافر من غير أهل هذه البلاد، وقد دخلت المسجد اليوم لصلاة العصر، فوجدت الإمام في التشهد الأخير، فدخلت معه بنية أربع ركعات، وأنا مسافر، فهل فعلي صحيح، أم أعيد الصلاة ركعتين؟ .

ج: فعلك صحيح، بل هو واجب، المسافر إذا صلى مع الإمام يجب عليه أن يتم الصلاة، وليس إذا صلى خلف الإمام المقيم، تبعا لإمامه، لأنك إذا كنت مسافرا، ثم دخلت المسجد، أو صليت خلف المقيم، يجب أن تتم، فإذا أدركت ركعة -وهو يصلي أربع ركعات- يجب عليك إذا سلم الإمام أن تأتي بثلاث ركعات، ولو كنت مسافرا؛ لأنك تبع لإمامك، وإذا صليت خلف المسافر فأقصر.

سئل ابن عباس -رضي الله عنهما- في "صحيح مسلم" ما معناه: ﴿ ما لنا إذا كنا مسافرين، أو إذا صلينا خلف مسافر قصرنا، أو صلينا خلف المقيم أتممنا؟ فقال: تلك السنة ﴾ أو كما قال -رضي الله عنه.

فالمسافر إذا صلى خلف المقيم يتم، وإذا صلى خلف المسافر يقصر، تبعٌ للإمام. نعم.

يعمل بالأصل، بالأحوط، إذا كان يغلب على ظنه أنه مقيم يصلي أربعا. نعم.

س: السؤال الأخير:

يقول: فضيلة الشيخ، هل نحن ملزمين بتفسير المعية بما ورد فيها من نصوص وهو العلم، أو نقول: إنها صفة تليق بالله. ويكفي؟ .

ج: نعم، صفة تليق بالله، ولكن نفسرها بما فسرتها النصوص، النصوص إذا قلنا: إن المعية أن يكون معهم بعلمه وإحاطته واطلاعه ورؤيته وبصره، كل هذا مأخوذ من النصوص.

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥ ﴾ .

في الآية، آية: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ .

آية "المجادلة" افتتحها الله بعلم، وختمها بعلم.

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ .

ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥ ﴾ .

فافتتح الآية بعلم، وختمها بعلم، فدل على أنها معية علم وإحاطة واطلاع، هذا من القرآن مأخوذ، ما هو تأويل. نعم. جزى الله فضيلتكم خير الجزاء.

س: المسافر إذا جاء لحاجة، ولا يدري متى تنتهي، فلا يزال مسافرًا، حتى ولو أقام مدة طويلة، إذا كان ما يدري بحاجة معاملة، ما يدري تنتهي اليوم، غدًا، أو بعد غد، متى انتهت سافر، هذا لا يزال مسافرًا..

ج: أما إذا قرر أنه سيقيم، يعرف المدة التي يقيم فيها، هذا اختلف العلماء فيها، اختلف العلماء فيها على عشرين قولا أو أكثر، ولكن أرجحها الذي عليه الفتوى الآن، أنه إذا نوى إقامة أكثر من أربعة أيام فإنه يتم من أول فرض، وإذا نوى يومين أو ثلاثة أو أربعة فإنه يقصر، هذا إذا ما صلى مع الجماعة، إذا صلى مع الجماعة في المسجد يتم، وإذا صلى مع أصحابه يقصر، إذا كان يومين ، ثلاثة ، أربعة.

أما إذا قرر زيادة أنه سيقيم أكثر من أربعة أيام من أول فرض يكون مقيما، هذا هو الذي عليه الفتوى، والذي يفتي به جمهور العلماء.

وشيخ الإسلام وجماعة يفتي بأنه لا يزال مسافرا حتى يرجع إلى بلده، ولكن الفتوى على جمهور العلماء، والفتوى الآن هو هذا، أنه إذا نوى إقامة أكثر من أربعة أيام فإنه يكون مقيما من أول فرض،

وإذا نوى أقل يكون مسافرا، إلا إذا صلى مع الناس يكون تبعا للإمام، إذا صلى مع المقيمين يكون تبعا لهم.

وفق الله الجميع.

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

في الدرس الماضي استعرضنا الباب الذي عقده الإمام أحمد -رحمه الله- في هذه الرسالة "الرد على الزنادقة والجهمية"، وهو بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش، يعني إنكارهم للعلو، فالجهمية أنكروا علو الله، واستواء الله على عرشه، وعلو الله على خلقه.

قد ذكر الإمام -رحمه الله- في الرد عليهم أدلة تدل على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، من هذه الأدلة؟ نعم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ نعم، وأدلة أخرى غير الاستواء شرعية؟ نعم ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ ﴾ هذه كلها ذكرها الإمام -رحمه الله-.

وأدلة علو الله على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة، يقول العلماء: تزيد أفرادها على ثلاثة آلاف دليل، أفرادها تزيد على ثلاثة آلاف دليل، لكن يمكن أن تُحصر هذه الأفراد في قواعد وأصول ترجع إليها، أو أنواع من الأدلة، يعني تنوع هذه الأدلة إلى أنواع، وكل نوع يدخل تحته أفراد كثيرة.

فمثلًا أنواع الأدلة الشرعية التي تدل على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه كثيرة، منها:

أولًا: التصريح بأنه استوى على العرش، هذا نوع من أنواع الأدلة يدخل تحته سبعة أدلة وسبعة أفراد، تصريح بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه -سبحانه وتعالى-:

في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، كلها جاء فيها التصريح بأن الله استوى على العرش بأداة "على" التي تدل على العلو والارتفاع، إذن هذا نوع من أنواع الأدلة: التصريح باستواء الله على العرش.

ثانيًا: النوع الثاني: التصريح بالعلو، التصريح بعلو الله كقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢ ﴾ تحته أفراد كثيرة، كل ما جاء فيه تصريح بالعلو يدخل تحت هذا النوع، هذا النوع الثاني.

النوع الثالث: التصريح بالفوقية تارة مقرونة بـــ"من"، وتارة غير مقرونة بـــ"من"، فالمقرونة بـــ"من" صريحة لا تحتمل التأويل كقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ هذه صريحة ما تحتمل التأويل، وغير المقرونة بـــ"من" ظاهرة في المراد، ولا يقبل تأويلها ممن أولها إلا بدليل، ولا دليل، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾

النوع الرابع من أنواع الأدلة: التصريح بالعروج إليه، والعروج يكون من أسفل إلى أعلى، كقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وفي الحديث: ﴿ فيعرج الذين باتوا فيكم وهو أعلم بهم سبحانه ﴾

الخامس: التصريح بالصعود إليه في قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

السادس: التصريح برفع بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى عن عيسى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ وثبت في الحديث ارتفاع دعوات المضطرين والمظلومين .

السابع: التصريح بأنه في السماء في قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧ ﴾ .

والسماء المراد بها العلو، إذا كانت "في" للظرفية فالمراد بالسماء العلو، و ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي من في العلو، والله تعالى له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وإذا أريد بالسماء الطباق المبنية

فتكون "في" بمعني "على"، أأمنتم من على السماء، السماء إذا أريد بها العلو تكون "في" للظرفية، وإذا أريد بالسماء الطباق المبنية تكون "في" بمعنى "على".

الثامن: التصريح بأنه -سبحانه وتعالى- رفيع الدرجات، أي مرفوعة درجاته لارتفاعه هو وعظمته، وأنه أعظم من كل شيء، يقول -سبحانه وتعالى- في سورة غافر: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ أي مرفوعة درجاته لارتفاعه هو -سبحانه- وعظمته -جل سلطانه-، وليس المراد معناها رافع درجات المؤمنين كما أوله المعطلة؛ لأن الضمائر تعود إليه -سبحانه وتعالى-، وكقوله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ أي المصاعد التي تصعد إليه جل شأنه.

التاسع: التصريح بأن بعض المخلوقات عنده مع أن له ملك السماوات والأرض كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ ﴾ فله من في السماوات والأرض، يملك من في السماوات والأرض، الملائكة والآدميين وغيرهم، ثم خص الملائكة فقال: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ ﴾ من عنده يعني في العلو.

العاشر: التصريح بأن من أسمائه الظاهر، وتفسير النبي ﷺ له بنفي فوقية شيء عليه كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ فالظاهر العلو المراد به العالي بدليل الحديث، يقول النبي ﷺ ﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء ﴾ فالنبي ﷺ فسر الظاهر بنفي فوقية شيء عليه.

الحادي عشر: التصريح بالإشارة إليه -سبحانه وتعالى- في أعظم موقف بالإشارة إليه في العلو كقوله ﷺ لما كان يخطب الناس يوم عرفه قال: ﴿ ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، فرفع إصبعه إلى السماء ﴾ قال: اللهم اشهد، فرفْعُ الإصبع إليه من أدلة العلو.

الثاني عشر: التصريح بالتنزيل من عنده كقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ والتنزيل إنما يكون ممن هو فوق وممن هو عال .

الثالث عشر: النصوص التي فيها إثبات رؤية الله تعالى في القرآن الكريم، وفي السنة المتواترة، التي فيها إثبات رؤية الله ﷻ والرؤية لا تكون إلا بمواجهة المرئي ومباينته، وقد تواترات النصوص بأن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم .

الرابع عشر: السؤال عن الله بـــ"أين" -وأين إنما يسأل بها عن المكان- دل على أن الله في العلو كقوله ﷺ للجارية: ﴿ أين الله؟ ﴾ الجارية العجمة الأعجمية ﴿ أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة ﴾ .

والمعطلة والجهمية يقولون: لا يُسأل عن الله بأين، ليس له مكان، هو في كل مكان، فهذا فيه الرد عليهم، السؤال أين يُسأل به عن المكان ﴿ أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة ﴾ .

فهذه أربعة عشر نوعا من أنواع الأدلة، ترجع إليها جميع أفراد الأدلة، كل نوع تحت أفراد كثيرة .

ومما رد به الإمام -رحمه الله- على المعطلة قال: إن الأسفل مذموم، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وإبليس والشياطين مكانهم بالسفل، والله تعالى منزه عن السفل، فهو في العلو.

وأما شبهة الجهمية واستدلالهم بالآية: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فأجاب عنها الإمام بأي شيء؟ يعني: إله من في السماوات، وإله من في الأرض، وقال: إن الله تعالى فوق العرش، وفوق مخلوقاته، ولا يخفى عنه شيء من أعمال عباده، فهو عالم بأحوالهم؛ لأنه هو الذي خلقهم وأوجدهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ .

وضرب مثالين، المثال الأول؟ نعم الكأس من الزجاج، نعم فيه شراب صاف، والزجاج صاف، فالإنسان يرى ما فيه، وإن لم يكن+ في داخل الكأس، والله تعالى فوق العرش، وفوق المخلوقات، وهو يعلم أحوال عباده؛ لأنه هو الذي خلقهم.

الثاني: من بنى دارا بجميع مرافقها وأغلق بابها ثم خرج منها، فإنه لا يخفى عليه ما فيها، لا يخفى عدد مساحتها، وعدد الغرف التي فيها، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، وهو فوق العرش. نعم.

باب تأويل الجهمية لمعية الله

قال -رحمه الله-تعالى-: باب بيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ الآية. قالوا: إن الله ﷻ معنا وفينا، فقلت: لِمَ قطعتم الخبر من أوله أن الله ﷻ يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟ فأخبر جل ثناؤه أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

يعني أن الجهمية تأولوا قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ تأولوها بأيش؟ تأولوا الآية بأن المعية معناها الاختلاط، وأن الله مختلط بالخلق، ممتزج بهم.

الجهمية يقولون، تأولوا الآية على أي شيء؟ قالوا: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني: معهم، بينهم في الأرض، ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ بينهم، معهم -تعالى الله- ، بماذا أجاب الإمام؟

قال الإمام ردًّا عليهم: ولهذا قالوا: إن الله -عز جل وعلا- معنا وفينا، هذا كلام الجهمية، يقولون: إن الله معنا وفينا، مع الثلاثة، ومع الأربعة، ومع الخمسة، إذن معنا وفينا، فقال الإمام ردا عليهم: لِمَ قطعتم الخبر من أوله؟ الخبر يعني الآية التي أخبر الله بها، الخبر المراد بالخبر أيش؟ الآية التي أخبر الله بها، وهي قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ .

يقول: اقرءوا الآية من أولها، لماذا تقطعون الآية؟ تأخذون بعض الآية وتتركون بعض الآية، اقرأ أول الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ﴾ فأخبر -جل ثناؤه- أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، إذن المراد هنا المعية، معية علم وإحاطة، ليست معية اختلاط، واضح هذا؟

إذن المعية هنا معية أيش؟ معية علم، وليس معية اختلاط، وسبق أن المعية معناها في اللغة العربية -معناها- مطلق المصاحبة، تفيد المصاحبة، ولا تقتضي الاختلاط، ولا الامتزاج، ولا المماسة، ولا المحاذاة عن يمين أو شمال، هذا أصلًا في اللغة العربية، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها واضح؟

إذن هؤلاء ما تمشوا مع اللغة العربية -الجهمية-، اللغة العربية هل معنى المعية فيها الاختلاط؟ لا، معناها المصاحبة، وهي لا تقتضي الاختلاط، تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فتقول: فلان معك، أنا معك، يعني: مالي معك، أرسلت مالي معك، هذا نوع من متعلقات المعية، فلان زوجته معه، هو في المشرق وهي في المغرب، هذه الآن معه يعني: في عصمته، واضح هذا؟

تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا، القمر فوق، مازلنا نسير والنجم معنا، إذن المعية لا تفيد الاختلاط ولا الامتزاج، فالجهمية قالوا، أخذوا من هذه الآية أنها تفيد الاختلاط والامتزاج.

من أين جئتم بهذا الاختلاط والامتزاج، واللغة العربية لا تريد الاختلاط والامتزاج؟ هذا من أبطل الباطل؛ ولهذا قال الإمام -رحمه الله-: لِمَ قطعتم الخبر من أوله؟ اقرءوا الآية من أولها يتبين لكم أن المراد معية العلم؛ لأن الله تعالى افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فدل على أن المعية معية علم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ هذا العلم ثم قال: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

إذن افتتح الله الآية بالعلم وختمها بالعلم؛ فدل على أن المعية معية العلم، وبهذا أجاب الإمام -رحمه الله- نعم.

رد أهل السنة في معية الله

فأخبر -جل ثناؤه- أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض ثم قال: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني إن الله بعلمه رابعهم .

هذا يعني أن الله بعلمه رابعهم، ليش قال: إن الله بعلمه؟ هل هذا تأويل؟ ليس تأويلا، أخذها من الآية، الآية افتتحها الله بالعلم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ فدل على أن المعية معية علم ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني: إلا الله بعلمه رابعهم. نعم.

معية الله بعلمه

﴿ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ ﴾ يعني: الله بعلمه ﴿ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾ يعني: بعلمه فيهم ﴿ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ ﴾ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ ختم الآية بالعلم وافتتحها بالعلم. نعم.

يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه

يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه .

يفتح الخبر يعني يبدأ الخبر، الخبر الآية؛ لأن الآية خبر، الآية: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ هنا افتتح الخبر بالعلم، ويختم الخبر بالعلم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾ نعم.

مناقشة الجهمية في معية الله

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه، فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم، فقد زعم أن الله بائن من خلقه، وأن خلقه دونه، وإن قال لا: كفر .

يعني: هذه مناقشة قوية للجهمي، مناقشة ملجئة، يعني: يقال للجهمي: إن تقول إن الله معنا بعظمته في الأرض -تعالى الله- هل يغفر الله لكم أو لا يغفر؟ هل يغفر للمذنبين أو لا يغفر؟

إما أحد أمرين: إما أن يقول: نعم، وإلا يقول: لا، إن قال: نعم، معناه ترك مذهبه، زعم أن الله بائن من خلقه، يغفر لأيش؟ للمذنبين، إذن هناك غافر ومغفور له، إذن فيه مباينة، ما فيه اختلاط، فيه مباينة، وإن قال: لا، كفر؛ لأنه كذب الله في قوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ .

فيقول: إن قلت: لا، هل يغفر الله للمذنبين؟ هل يغفر الله للخلق فيما بينه وبين خلقه؟ هل يغفر الله للمذنبين فيما بينه وبينهم من الذنوب؟ إن قال الجهمي: لا، كفر؛ لأنه كذب الله في قوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ وإن قال: نعم، ترك مذهبه؛ لأنه قال: إن الله بائن من خلقه وأن خلقه دونه. نعم.

كذب وافتراء الجهمية

إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان .

يعني: إذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله مختلط بالمخلوقات، الجهمي يقول: إن الله في مكان، في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، يعني: بل في جميع الأمكنة، الجهمي يقول: إن ذات الله بسيطة، عامة لجميع الأمكنة، واسعة تشمل جميع الأمكنة -تعالى الله عما يقولون- نعم.

دليل عقلي في إثبات صفة العلو

فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل، واحد منها: إن زعم أن "الله خلق الخلق في نفسه" كفر حين زعم أنه خلق الجن والإنس والشياطين في نفسه، وإن قال: "خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم" كان هذا أيضا كفرا حين زعم أنه دخل في مكان رجس قذر رديء، وإن قال: "خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم" رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة .

وهذا دليل عقلي من طريق السبر والتقسيم، يعني قسم الأحوال التي يتصورها العقل، الجهمي يقول: إن الله في كل مكان، نقول له: الله حين خلق الخلق هل خلقهم في نفسه أو خلقهم خارجا من نفسه؟

العقل يتصور ثلاثة أشياء: إما أن يقول: خلقهم في نفسه، أو يقول: خلقهم خارج نفسه ثم دخل فيهم، أو يقول: خلقهم خارجا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم، واحدا من الثلاثة، ولا يتصور العقل أكثر من هذا.

فإن قال: "خلقهم في نفسه" كفر، لماذا؟ لأنه زعم أنه خلق الجن والشياطين والإنس في نفسه -أعوذ بالله-، وكذلك إذا قال: "خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم" كفر أيضا؛ لأنه زعم أن الله دخل في مكان رجس قذر رديء -تعالى الله-، وإن قال: "خلقهم خارجا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم" ترك مذهبه، وقال بقول أهل السنة، واضح هذا؟ وهذا لا محيد له عن هذه أيش؟ عن واحد من هذه الأقسام الثلاثة. نعم.

باب إثبات المعية

باب بيان ما ذكر الله في القرآن: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ وهذا على وجوه، قال الله -جل ثناؤه- لموسى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ .

أيضا لا يزال المؤلف في المعية، الباب السابق باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ في المعية، وهذا في المعية أيضا، هناك في الرد عليهم -أراد أن يرد عليهم-، وهنا أراد أن يذكر الأدلة على إثبات المعية. نعم.

الأدلة على إثبات المعية

وهذا على وجوه، قال الله -جل ثناؤه- لموسى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ يقول: في الدفع عنكما. وقال: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ يقول: يعني في الدفع عنا. وقال: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وقال: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ في النصر لكم على عدوكم . وقال: ﴿ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾ يقول: بعلمه فيهم . وقال: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ يقول: في العون على فرعون .

هذه الأدلة الآن ذكرها في إثبات المعية، وقال: إن المعية على وجوه -رحمه الله-.

الآية الأولى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ قول الله تعالى خطابا لموسى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ قال المؤلف: معناها يقول: في الدفع عنكما.

والآية الثانية: الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأبو بكر ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ يقول: يعني في الدفع عنا.

والدليل الثالث: قول الله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ ﴾ يقول: في النصر لهم على عدوهم .

والآية أيش الثالثة؟ قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ يقول: في النصر لكم على عدوكم، وقال: ﴿ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ ﴾ يقول: بعلمه فيهم.

والآية أيش الخامسة؟ قوله: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾ يقول: في العون على فرعون.

طيب، هذه كلها في إثبات المعية، هل هي معية عامة ولَّا معية خاصة؟ الضابط في هذا أن المعية تنقسم إلى قسمين -كما سبق-: معية عامة، ومعية خاصة، وهذه الآيات ترجع إلى النوعين: معية عامة، ومعية خاصة، وسبق أن قلنا إن هناك فرق بين المعية العامة والمعية الخاصة.

قلنا: إن هناك فروق ثلاثة، فالمعية العامة: معية اطلاع وإحاطة، وتأتي في سياق المحاسبة والتخويف والجزاء. أما المعية الخاصة: معية عون ونصر وتأييد وحفظ وكلاءة ودفع، وتأتي في سياق المدح والثناء. واضح هذا؟

والمعية العامة تشمل المؤمن والكافر، والخاصة خاصة بالمؤمنين، فتكون الفروق ثلاثة: المعية العامة معية إحاطة وإطلاع، والمعية الخاصة معية حفظ ونصر وتأييد ودفع.

ثانيا: المعية العامة تأتي في سياق المحاسبة والجزاء والتخويف، هذه المعية العامة، والمعية الخاصة تأتي في سياق المدح والثناء.

ثالثا: المعية العامة تشمل المؤمن والكافر، للمؤمن والكافر، والمعية الخاصة خاصة بالمؤمنين.

هذه الآيات كلها في المعية الخاصة إلا قوله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ خطاب لموسى وهارون، هذه معية خاصة، ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ هذه أيش؟ معية خاصة، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ معية خاصة، ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ خطاب للمؤمنين معية أيش؟ خاصة، ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ معية خاصة .

بقي آية واحدة في المعية العامة وهي: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ ؛ ولهذا قال: يقول: بعلمه، معية علم وإحاطة، هذه عامة، قيل المعية نوعان: خاصة وعامة، الإمام -رحمه الله- قال: إنها على وجوه -يعني من جهة المعنى- قال: في الدفع عنهما، أو في العون والنصر، وإلا فكل الآيات في المعية الخاصة ما عدا آية النساء ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ فهي في المعية العامة. نعم.

مذهب الجهمية في الحلول

فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه .

هذا مذهب الجهمية في الحلول، كيف يقول الجهمي ؟ الجهمي يقول: إن الله مع خلقه في كل شيء، غير مماس ولا مباين، كيف يكون هذا؟! غير مماس و غير مباين، إن الله مع خلقه غير مماس لشيء ولا مباين لشيء، هذا تناقض! ما يمكن! إذا كان غير مماس فهو مباين، وإذا كان مباينا فهو غير مماس.

ما يمكن ترك الاثنين، غير مماس وغير مباين، هذا ما يمكن، تقول لشخص زميلك أمامك: هذا غير منفصل عني وغير متصل بي، ما يمكن، لا بد واحد من الأمرين، إذا كان مباينا لك فهو غير مماس، وإذا كان مماسا غير مباين، إذا كان مماس فهو غير مباين، وإذا كان مباينا فهو غير مماس، الجهمية قالوا أيش؟ إن الله مع خلقه في كل شيء، غير مماس لشيء، ولا مباين لشيء، ولهذا ناقشهم الإمام.

آراء المذاهب الأخرى في الحلول

فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماس؟ قال: لا، فقلنا: كيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء؟ فلم يحسن الجواب، فقال: بلا كيف، فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة، فموه عليهم .

نعم، الإمام قال له: إذا كان غير مباين أليس هو مماس؟ إذا كان غير منفصل لا بد أن يكون مماسا، قال: لا، فقلنا: كيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء؟ فلم يحسن الجواب -الجهمي-، فلم يحسن الجواب فقال: بلا كيف، قال الإمام: فيخدع جهال الناس بهذه الكلمة.

إذن هذا مذهب الجهمية، الجهمية يقولون أيش؟ إنه حالٌّ في كل مكان -نعوذ بالله-، وهذا مذهب الجهمية الأولى العباد، مذهب الجهمية العباد الأولى، يقولون أيش؟ إن الله في كل مكان -تعالى الله عما يقولون-.

وأما الجهمية المتأخرون فقالوا بنفي النقيضين، وهم النفاة المعطلة، ما يقول إن الله في كل مكان ضد هؤلاء، يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا مباين له ولا محايز له، أيش يكون؟!

هذا مذهب الجهمية المعطلة، ينفون النقيضين الذَين لا يخلو موجود عن واحد منهما، لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له ولا محايز له، ولا متصل به ولا منفصل عنه، أيش يكون؟! عدم، لا، أشد من العدم، يسمى عند العقلاء مستحيلا، المستحيل هو الذي ينفى عنه النقيضين، ما يمكن شيء، لا داخل ولا خارج، لا بد إما داخل وإما خارج، لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا مباين له ولا محايز له -نعوذ بالله-.

المذهب الثالث: مذهب طائفة من السالمية والصوفية، يقولون: هو فوق العرش، وهو في كل مكان، والجهمية -هذا نقل الإمام أحمد عنهم أنهم- يقولون: هو فوق العرش وفي كل مكان، هذا القول للسالمية الصوفية: هو فوق العرش وهو في كل مكان.

المذهب الرابع: مذهب أهل الحق -الرسل وأتباعهم- أن الله تعالى فوق السماوات، مستو على عرشه، بائن من خلقه -سبحانه وتعالى-، المخلوقات نهايتها وعرشها عرش الرحمن، وهو سقف المخلوقات، والله فوق العرش، بعد أن تنتهي المخلوقات.

هذا معتقد أهل الحق، هذا هو الذي جاء به الرسل وأتباعهم، فتكون المذاهب كم مذهب؟ أربعة مذاهب: مذهب أهل الحق، مذهب الجهمية القول بالحلول في كل مكان، مذهب السالمية والصوفية أنه فوق العرش وفي كل مكان، مذهب معطلة الجهمية ونفاتهم الذين ينفون النقيضين.

يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مباين له ولا محايد له -نعوذ بالله-، وكفر هؤلاء أشد، الذين ينفون النقيضين أشد من الحلولية، كلهم كفار، لكن من يقول بالحلول.. هذا أثبت وجود الله، لكن الذي يقول لا داخل العالم ولا خارجه لم يثبت شيئا، فيكون كفره أشد وأغلظ -نعوذ بالله- نعم.

مناقشة الإمام أحمد للجهمية

فقلنا له: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسي والهواء؟ قال: بلى.

فقلنا: أين يكون ربنا؟ فقال: يكون في كل شيء كما كان حينما كان في الدنيا في كل شيء.

فقلنا: فإن في مذهبكم أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله -جل ثناؤه- .

نعم هذا مناقشة -الآن- لأيش؟ مناقشة من الإمام للجهمية.

يقول الإمام للجهمي: "أليس إذا كان يوم القيامة أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسي والهواء؟" ما في، الأرض والسماء أين هم؟ ما في سماء ولا أرض يوم القيامة، إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ما في سماء ولا أرض، انتهى.

وأين أهل السماء والأرض؟ صاروا إما في الجنة أو في النار، أهل السماء وأهل الأرض كانوا في أيش؟ إما في الجنة أو في النار، إذن استقر الناس إما في الجنة أو في النار، فيه جنة، وفيه نار، وفيه العرش، وسقف الجنة هو عرش الرحمن، وفيه الكرسي، كرسي الرحمن، والهواء.

فقال الإمام للجهمي: إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسي والهواء؟ قال: بلى.

فقلنا -يعني للجهمي-: أين يكون ربنا؟ فقال الجهمي: يكون في كل شيء كما كان في الدنيا، في كل شيء، يكون في كل شيء كما كان في الدنيا، في كل شيء، هذا قول الجهمي.

فقلنا -يعني يقول الإمام-: فإن في مذهبكم -يعني مذهبكم ما صرحتم به الآن- أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء، يعني مذهبهم أنه في كل شيء، يعني أنه على العرش، وفي الجنة، وفي النار، وفي الهواء، وفي الكرسي، وفي كل مكان -نعوذ بالله-.

فعند ذلك يقول الإمام: تبين للناس كذبهم على الله -جل ثناؤه- نعم.

باب إثبات العلم لله ﷻ

باب إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقر بعلم الله فقل له: إن الله يقول: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ وقال: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾ وقال: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن ﴾ وقال: ﴿ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ .

هذا الباب في إثبات العلم لله ﷻ والمؤلف -رحمه الله- ذكر أربعة أدلة في إثبات العلم، والأدلة كثيرة، لكن هذه أمثلة:

الأول: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ في إثبات العلم لله، وأنه لا يحيط الخلق بشيء من علمه ﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾ .

والدليل الثاني: قول الله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾ إثبات العلم.

الدليل الثالث: قول الله تعالى: ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن ﴾ .

الدليل الرابع: ﴿ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ .

هذه أربعة أدلة، والأدلة كثيرة لا حصر لها: ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ الأدلة كثيرة لا حصر لها، لكن أراد أن يذكر أمثلة فقط. نعم.

الدليل العقلي في إثبات العلم لله

فيقال له: تقر بعلم الله هذا الذي أوقفك عليه بالإعلام والدلالات أم لا؟ فإن قال: "ليس له علم" كفر، وإن قال: "لله علم محدث" كفر حين زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علما فعلم، وإن قال: "لله علم وليس مخلوقا ولا محدثا" رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السنة.

وأيضا هذا دليل عقلي كالسابق، طريقة السبر والتقسيم، ثلاثة أشياء، يعني الدليل العقلي مكون من أيش؟ من أقسام ثلاثة، لا يستطيع الجهمي أن ينفك عن واحد منها.

الجهمي لا يقر بعلم الله؛ لأنه ينكر هذا، يقال له: هل تثبت العلم لله أو لا تثبت؟ فإن قال: "ليس لله علم" كفر؛ لأنه نسب الله للجهل، ومن قال: "إن الله جاهل" كفر بإجماع المسلمين، وإن قال: "لله علم محدث" كفر أيضا؛ لأنه زعم أن الله في وقت من الأوقات لا يعلم حتى خلق العلم، وإن قال: "لله علم وليس مخلوقا ولا محدثا" رجع عن مذهبه وقال بقول أهل السنة.

إذن هذا كالسابق، يعني لا ينفك عن واحد من هذه الأقسام الثلاثة: إما أن يقول: "ليس لله علم"، هذا كفر. أو يقول: "له علم لكن محدث"، هذا كفر. أو يقول: "لله علم وليس مخلوقا ولا محدثا"، وهذا هو الحق، وهو قول أهل السنة. نعم.

مناقشة الجهمية فيما زعموا أن اسم الله في القرآن مخلوق

قال: وزعمت الجهمية أن الله في القرآن إنما هو اسم مخلوق، فقلنا: قبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه؟ قالوا: لم يكن له اسم .

هذا أيضا مناقشة للجهمية، الجهمي يقول: زعموا أن الله في القرآن مخلوق، يعني اسم الله، اسم الله في القرآن مخلوق، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ يقول: اسم الله في القرآن مخلوق، وزعمت

الجهمية أن الله -يعني اسم الله في القرآن- إنما هو اسم مخلوق، يعني اسم الله في القرآن الكريم اسم مخلوق، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ في الآية الله -اسم الله- مخلوق، يقولون.

فقال لهم الإمام: قبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه؟ إذا قلتم: اسم الله مخلوق، قبل أن يخلق هذا الاسم ما كان اسمه؟ قالوا: لم يكن له اسم قبل أن يخلق، ما له اسم حتى خلق الاسم له، فصار اسمه الله -نعوذ بالله-، يعني قبل أن يخلق الاسم قالوا: لا اسم له.

فقلنا: وكذلك قبل أن يخلق العلم كان جاهلا لا يعلم حتى خلق لنفسه علما، وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نورا، وكان لا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة، فعلم الخبيث أن الله قد فضحه، وأبدى عورته للناس حين زعم أن الله في القرآن إنما هو اسم مخلوق.

يعني: يقول الإمام: يعني مذهبكم على هذا مذهبكم طرد، مذهبكم أنكم تقولون: قبل أن يخلق العلم كان جاهلًا حتى خلق العلم، حتى خلق لنفسه علما، فلا علم له حتى خلق العلم، ولا نور له حتى خلق لنفسه النور، ولا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة، كذلك لا اسم له حتى خلق لنفسه اسما.

قال: "فعلم الخبيث -يعني الجهمي- أن الله قد فضحه، وأبدى عورته للناس حين زعم أن اسم الله في القرآن إنما هو اسم مخلوق"؛ لأنه على هذا يقول إن الله خلق اسمه وقبل أن يخلق اسمه ليس له اسم، كذلك خلق العلم وقبل أن يخلق العلم ما كان عالما، خلق القدرة وقبل أن يخلق القدرة ما كان قادرا، خلق النور وقبل أن يخلق النور ما كان له نور، هذا كفر صريح. نعم.

وقلنا للجهمية: أن لو أن رجلا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذبا كان لا يحنث؛ لأنه كان حلفه بشيء مخلوق، و لم يحلف بالخالق، ففضحه الله في هذه .

هذه مناقشة له في قوله: "إن اسم الله اسم مخلوق"، إذا قلتم أيها الجهمية: إن اسم الله مخلوق، فلو أن رجلا حلف بالله الذي لا إله إلا هو ما يحنث؛ لأنه ما حلف بالله، حلف بشيء مخلوق، يعني تقول:

"اسم الله مخلوق"، فإذا قال رجل: "والله الذي لا إله إلا هو لأفعلن كذا" ثم لم يفعل ما عليه، ما عليه كفارة، ما يحنث، لماذا؟ لأنه حلف بشيء مخلوق، هذا بناء على قولهم: "إن اسم الله مخلوق".

هذه المناقشة من الإمام، يقول لهم: "وقلنا للجهمية: لو أن رجلا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كذبا كان يحنث؟" كان هذه على حذف حرف الاستفهام، والتقدير: أكان لا يحنث؟ لو أن رجلًا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كذبا كان لا يحنث؟ أي: "أكان لا يحنث" على حذف حرف الاستفهام، لماذا؟ لأنه كان حلفه بشيء مخلوق؛ لأنك تقول: "اسم الله مخلوق"، و لم يحلف بالخالق.

فإذن إذا قال شخص: "والله الذي لا إله إلا هو" ما يحنث إذا لم يفعل؛ لأنه لم يحلف بالله، وإنما حلف بشيء مخلوق -تعالى الله-، قال الإمام: "ففضحه الله في هذا"، هذه مناقشة.

وقلنا له: أليس النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والخلفاء من بعدهم، والحكام والقضاة، إنما كانوا يحلفون الناس بالله الذي لا إله إلا هو، فكانوا في مذهبكم مخطئين، إنما كان ينبغي للنبي -عليه السلام- ولمن بعدهم في مذهبكم أن يحلفوا بالذي اسمه الله .

وهذه مناقشة ثانية، يقول: إذا قلتم -أيها الجهمية-: إن اسم الله مخلوق.

نقول لكم: أليس النبي ﷺ يحلف الناس بالله، إذا جاء تخاصم عنده اثنان يقول: احلف بالله، وأبو بكر بعده يحلف الناس يقول: احلف بالله، إذا جاء شخص ادعى على شخص شيئا وأنكر يقال: احلف بالله أنه ليس عندك له شيء.

وكذلك عمر وعثمان وعلي والخلفاء يحلفون، كذلك الحكام المسلمون وقضاتهم يحلفون الناس بالله، فيكونون -على مذهبكم أيها الجهمية- مخطئين، لماذا؟ لأنهم حلفوهم باسم مخلوق، فيكون على ذلك يكون الجهمية خطئوا النبي ﷺ وخطئوا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والحكام من بعده والقضاة؛ لأنهم يحلفون الناس بالله، وهذا خطأ؛ لأنهم حلفوهم باسم مخلوق.

وكان -على مذهبكم أيها الجهمية- ينبغي أن يحلفوهم فيقولون: احلفوا بالذي اسمه الله، أما قولهم: "احلفوا بالله" معناه حلفوا بمخلوق؛ لأنهم يقولون: اسم الله مخلوق، فيقول: ينبغي -على مذهبكم أيها

الجهمية- أن يحلفوهم ويقولون: احلفوا بالذي اسمه الله، ولا تحلفوا بالله؛ لأن اسم الله مخلوق، هذا إلزام للجهمية. نعم .

نعم، يلزمهم على هذا أن يكون هذا شركا، يكون شركا لأنه حلف بشيء مخلوق، ﴿ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ﴾ هذا إلزام لهم، وسيأتي إلزام آخر، نعم، يقول النبي ﷺ ﴿ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ﴾ فعلى هذا إذا كان اسم الله مخلوق -على زعم الجهمية- يكون من حلف بالله مشرك؛ لأنه حلف بمخلوق، هذا إلزام -ما ذكره الإمام- وهو لازم لهم. نعم.

وإذا أرادوا أن يقولوا: "لا إله إلا الله" يقولوا: "لا إله إلا الذي خلق الله"، وإلا لم يصح توحيدهم، ففضحه الله بما ادعى على الله الكذب .

كذلك أيضا هذا إلزام لهم، يقول: على قولكم: "إن اسم الله مخلوق" إذا أراد إنسان أن يقول: "لا إله إلا الله" يكون خطأ، غير موحد، حين ينطق الإنسان بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" ما يكون موحدا، إلا أن يقول: "لا إله إلا الذي خلق الله"، كلمة التوحيد تكون معناها هكذا: "لا إله إلا الذي خلق الله"، أما إذا قال: "لا إله إلا الله" ما يكون موحدا، متى يكون موحدا على زعم الجهمية؟ يقول: "لا إله إلا الذي خلق الله"، وإلا فلا يصح توحيده، كل هذا مبني علام؟ قولهم: إن اسم الله مخلوق. نعم.

ولكن نقول: إن الله هو الله، وليس الله باسم، إنما الأسماء شيء سوى الله؛ لأن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ولا يجوز أن يكون اسم لاسم، ففي هذا بيان كفر الجهمي .

يعني يقول على هذا -على مذهب الجهمية- يقول: إن الله هو الله، ولا يقول: إن الله اسم لله، فيقول على مذهب الجهمية، ولكن نقول: إن الله هو الله، ولا نقول: إن الله اسم لله، نقول: إن الله هو الله، وليس الله باسم، إنما الأسماء شيء سوى الله؛ لأن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ولا يجوز

أن يكون اسم لاسم مطلقا، ما يجوز أن يكون اسم لاسم؛ لأن الأسماء مخلوقة، فلا يجوز أن يكون اسم لاسم.

قال الإمام: ففي هذا بيان كفر الجهمي؛ لأنه على مذهبه، ما نقول: إن الله اسم لله، بل نقول: إن الله هو الله، ولا نقول: إن الله اسم لله، وليس الله باسم لله، إنما الأسماء شيء سوى الله، ولا يجوز أن يكون اسم لاسم على مذهب الجهمية. نعم.

مناقشة الجهمية فيما زعموا أن الله لم يتكلم

وقلنا لهم: زعمتم أن الله لم يتكلم، فبأي شيء خلق الخلق؟ أموجود عن الله تبارك وتعالى أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه حين قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هذا مناقشة للجهمية، قلنا لهم: زعمتم أن الله لم يتكلم -أيها الجهمية-، فبأي شيء خلق الخلق، الله تعالى يخلق الخلق بالكلام: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ والحق هو كلامه سبحانه، إذا كان لا يتكلم فبأي شيء خلق الخلق؟ عندك أيش؟ أموجود عن الله.. .

أموجود عن الله -تبارك وتعالى- أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه؟.

كذا عندكم النسخة الثانية، يعني: أليس موجودا عن الله؟ يعني تقديره هكذا: أموجود عن الله؟ يعني: ألا تجدون في النصوص أن الله تعالى خلق الخلق بقوله وكلامه، هذا معناه أموجود، يعني أليس موجودا في القرآن الكريم أن الله خلق الخلق بقوله وكلامه حين قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يعني يقول: إذا قلتم: لا يتكلم، فبأي شيء خلق الخلق؟ ألا تجدون أن الله تعالى أخبر في القرآن أنه خلق الخلق بقوله، ما هي الآية التي فيها هذا؟ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

﴿ كُن ﴾ هذا كلام الله ﴿ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ يعني: فيوجد، إذن المخلوقات وجدت بأي شيء؟ بقول الله، إذن أليس موجودا في القرآن الكريم أن الله خلق الخلق بقوله وكلامه؟ بلى موجود.

فقالوا: إنما معنى قوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ ﴾ يكون، فقلنا لهم: فلِمَ أخفيتم ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ ؟ .

يقول: أجابوا، قالوا: إن معنى قوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ ﴾ يكون، هذا معناه ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ ﴾ يكون، يوجد، حذفوا جملة من الآية، ما هي ؟ ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ فقال لهم الإمام: ولِمَ أخفيتم ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ ؟ لماذا حذفتم جزءا من الآية؟

الآية: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ الجهمية حذفوا ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ قالوا: معنى الآية: "إنما قولنا لشيء إذا أردناه يكون"، فقال لهم الإمام: فقلنا لهم: فلِمَ أخفيتم ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ لِمَ حذفتم جزءا من الآية؟

فقالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، وقال الله مثل قول العرب: قال الحائط، وقالت النخلة فسقطت، والحائط والنخلة لا يقولان شيئا .

أجابوا، قالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن بمعانيه، يعني كل شيء في القرآن يفسر بمعانيه، يقول الجهمية: الجواب كل شيء في القرآن يفسر بمعانيه، وما جاء في القرآن "قال الله" يفسر بـــ "خلق الله".

يعني الجهمية يقولون: كل شيء في القرآن بمعانيه، يعني يفسر بمعانيه، ومن ذلك: "قال الله" نفسرها بـــ "خلق الله"، والدليل على هذا أن "قول الله" و"قال الله" مثل قول العرب: قال الحائط، وقالت النخلة. والحائط والنخلة لا يقولان شيئا، فمعنى "قال الله" ليس معناها تكلم الله، بل معناها مثل قول العرب: قال الحائط وقالت النخلة، والحائط والنخلة لا يقولان شيئا، هل النخلة تقول شيئا؟ هل الحائط يقول شيئا؟ كذلك "قال الله" معناه: خلق الله.

قالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن معانيه، أي كل شيء في القرآن يفسر بمعانيه، ومن ذلك: "قول الله" نفسرها بمعناها، نفسرها بـــ "خلق الله"، كما أن العرب تقول: قالت النخلة، قال الحائط، وقالت النخلة، والحائط والنخلة لا يقولان شيئا، فكذلك "قال الله" ليس معناه تكلم الله، وإنما معناه خلق الله. واضح تأويل الجهمية؟ أعد.

فقالوا: إنما معنى كل شيء في القرآن بمعانيه .

يعني كل شيء في القرآن يفسر بمعانيه، ومن ذلك: "قال الله" نفسرها بمعناها، نفسرها بـــ "خلق الله"، و"قال الله" مثل قول العرب، يعني: نفسر "قال الله" في القرآن بما نفسر به قول العرب: "قال الحائط وقالت النخلة"، فكما أننا نقول: النخلة لا تتكلم، والحائط لا يتكلم، فكذلك نقول: الله لا يتكلم، معنى "قال الله": خلق الله، مثل قول العرب: "قالت النخلة وقال الحائط". نعم.

والحائط والنخلة لا يقولان شيئا، فقلنا: على هذا قستم؟ قالوا: نعم .

يقول الإمام: على هذا قستم؟ يعني قستم الله على الحائط والنخلة والجماد؟ قالوا: نعم نقيس. نعم.

فقلنا: بأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم؟ فقالوا: بقدرته. فقلنا: قدرته هي شيء؟ فقالوا: نعم. فقلنا: قدرته مع الأشياء مخلوقة؟ قالوا: نعم. فقلنا: كأنه خلق خلقا بخلق، وعارضتم القرآن وخالفتموه .

هنا مناقشة لهم، يقول الإمام: إذا كان الله لا يتكلم -في مذهبكم- فبأي شيء خلق الخلق؟ مناقشة، أنتم تقولون: لا يتكلم مثل قالت النخلة وقال الحائط وقال الله، ولا يتكلم، بأي شيء خلق الخلق إن كان الله -في مذهبكم- لا يتكلم؟ قالوا: خلق الخلق بقدرته، فقلنا: قدرته هل هي شيء؟ قالوا: نعم شيء، فقلنا: هل قدرته على الأشياء مخلوقة؟ قالوا: نعم خلق الأشياء بقدرته وقدرته مخلوقة.

فقال الإمام: إذن كأنكم قلتم: خلق خلقا بخلق، خلق الخلق بخلق، القدرة مخلوقة، والقدرة خلق، والخلق خُلِق بالقدرة، فيكون خلق خلقا بخلق. رأيتم كيف؟ كيف الآن وصل الجهمي؟ يقول لهم: إذا كان الله لا يتكلم بأي شيء؟ قالوا: خلق الخلق بقدرته، قال: هل القدرة مخلوقة؟ قالوا: نعم، قال: معنى هذا أنكم قلتم: خلق خلقًا بخلق، خلق الخلق بخلق، وهي القدرة، القدرة مخلوقة، وهي التي خلق بها الخلق، خلق خلقًا بخلق، وهذا من أبطل الباطل . نعم.

فقلنا: بأي شيء خلق الخلق إن كان الله في مذهبكم لا يتكلم؟ فقالوا: بقدرته، فقلنا: قدرته هي شيء؟ فقالوا: نعم، فقلنا: قدرته مع الأشياء المخلوقة؟ قالوا: نعم، فقلنا: كأنه خلق خلقًا بخلق، وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله -جل ثناؤه-: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ فأخبرنا الله أنه يخلق وقال: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، فتعالى الله عما يقول الجهمية علوًّا كبيرا.

يعني يقول الإمام -رحمه الله-: زعمتم أن الله خلق خلقا بخلق وهي القدرة، وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله -جل ثناؤه-: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ عارضتم القرآن؛ لأن الله أخبرنا أنه يخلق وقال: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ .

فإن الآية فيها حصر نفي، فإنه ليس أحد يخلق غير الله، لكن أنتم زعمتم أن هناك أحد يخلق غير الله، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، وهي قدرته التي خلق، من خلقه الله تعالى، يقول: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ المعنى: لا خالق غير الله.

وأنتم -الجهمية- تقولون: هناك خالق غير الله، ما هو؟ القدرة هي الخالق، خلق الخلق بالقدرة، والقدرة خلق، القدرة مخلوقة، تقولون خلق الخلق بقدرته، والقدرة مخلوقة، إذن خلق خلقا بخلق، فلزمكم أن يكون هناك خالق غير الله، والله تعالى يقول: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ويقول: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ .

فإذن لزم الجهمية بهذا، إذ لما أنكروا كلام الله أن يقولوا: إن هناك خالقا غير الله، وهذا كفر صريح، ولزمهم أن يقولوا: إن هناك خالقا غير الله، وأن الله ليس خالق كل شيء، بل هناك خلق هو الذي يخلق، وهي القدرة المخلوقة، وهذا معنى قوله: فإنه ليس أحد يخلق غيره، وزعمتم أنه خلق الخلق غيره، وهي قدرته التي هي خلق من خلقه، فتعالى الله عما يقول الجهمية علوًّا كبيرا. نعم.

باب بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق

باب بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت أن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب.

هذه شبه الجهمية من السنة، من الأحاديث، الأول الشبه التي مضت شبه من القرآن، آيات من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾ هذه آيات قالوا: إنها تدل على خلق القرآن، هنا شبهوا بأحاديث، وقالوا: إن الأحاديث تدل على أن القرآن مخلوق. نعم.

باب بيان ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت ﴿ أن القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك. قال: فيأتي به الله، فيقول: يا رب... ﴾ إلى آخره، فادَّعوا أن القرآن مخلوق من قِبَل هذه الأحاديث.

هنا يقول الإمام -رحمه الله-: إن الجهمية ادَّعوا أن القرآن مخلوق، واستدلوا بالسنة، الحديث الذي فيه أن القرآن يجيء يوم القيامة في صورة الشاب حين ينشق القبر عن صاحبه، يأتيه القرآن كالرجل الشاحب، وأنه يجادل عنه، وينتصب خصما له، أو خصما عليه، إن كان يعمل بالقرآن يكون خصما له -كما في الحديث- يجادل ويقول: ﴿ يا رب إنه عمل بفرائضي، وأدى واجباتي، ولا يزال يأتي بالحجج حتى يقول الله: شأنك به، فلا يزال به حتى يقوده إلى الجنة، ويلبسه تاج الكرامة ﴾ .

وإذا كان خصما لا يعمل به ينتصب خصما عليه، ويقول: ﴿ يا رب تعدى فرائضي، وركب حدودي، وترك طاعتي، فلا يزال يأتي بالحجج حتى يقول: شأنك به، فلا يزال به حتى يسوقه حتى يكبه على منخره في النار ﴾ كما في الحديث.

فالشاهد في الحديث: أن القرآن يأتي في صورة الشاب، الرجل الشاحب، قال الجهمي: هذا دليل على أن القرآن مخلوق، القرآن يأتي في صورة شاب مخلوق، فدل على أن القرآن مخلوق، وأنه يأتي في صورة الشاب الشاحب، ويقول له: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك، قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب. فادعوا -يعني الجهمية- أن القرآن مخلوق من قِبَل هذه الأحاديث. نعم.

الجواب على شبهة الجهمية أن القرآن مخلوق

فادعوا أن القرآن مخلوق من قبل هذه الأحاديث فقلنا لهم: القرآن لا يجيء إلا بمعنى أنه قد جاء، من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ فله كذا وكذا، ألا ترون أن من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ لا

تجيئه، بل يجيء ثوابه؛ لأنا نقرأ القرآن فيقول: يا ربي، ويجيء ثواب القرآن، وكلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال، وإنما معنى أن القرآن يجيء إنما يجيء ثواب القرآن، فيقول يا ربي.

إذن الجواب عن هذا: أن الذي يجيء ثواب القرآن، هذا ثواب القرآن، ليس هو القرآن، القرآن كلام الله، لكن ثوابه هو الذي يجيء، هذا الثواب يصوره الله بصوره الرجل الشاب، صورة الرجل الشاحب يجادل عنه أو ينتصر، إما ثوابه إذا كان له ثواب، وعقوبته على ترك القرآن، على ترك العمل به، مثلما جاء: من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ فله كذا وكذا، فقال: ألا ترون أن من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ لا تجيئه بل يجيئه ثوابها.

ومثلما جاء في الحديث: ﴿ اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ﴾ المعني يجيء ثوابهما، ثواب البقرة وآل عمران، واضح هذا؟ إذن ﴿ اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما ﴾ المراد الثواب: ثواب البقرة وآل عمران.

كذلك هنا القرآن يجيء في صورة الشاب الشاحب، هذا ثوابه، يقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك، كذلك: من قرأ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ فله كذا وكذا، هذا الثواب، فإذن الذي يجيء ما هو؟ ثواب القرآن، أما القرآن فهو كلام الله، ولهذا قال الإمام -رحمه الله-: كلام الله لا يجيء، ولا يتغير من حال إلى حال، كلام الله صفة من صفاته، وإنما الذي يجيء ثواب القرآن واضح هذا؟ هذا جواب الشبهة، نعم.

نعم يأتي العقوبة في صورة الشاب، هذا عقوبة جزاؤه على ترك العمل بالقرآن. نعم.

باب ما تأولت الجهمية من قوله تعالى "هو الأول والآخر"

باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ فزعموا أن الله هو الأول قبل الخلق فقد صدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، فلا تبقى سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي، وزعموا أن شيئا مع الله لا يكون هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشرا كثيرا .

هذه شبهتهم، تأويل الجهمية في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ في سورة الحديد، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ هذه الأسماء الأربعة متقابلات، اسمان لأزليته وأبديته، واسمان لفوقيته وعلوه وعدم حجب شيء من مخلوقاته له.

هو الأول الذي ليس قبله شيء؛ ولهذا فسرها النبي ﷺ في الحديث: « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وهو سبحانه الظاهر ليس فوقه شيء، وهو الباطن لا يحجبه شيء من خلقه، فاسمان لأزليته وأبديته: الأول والآخر، واسمان لفوقيته وعدم حجب شيء من الخلق له.

فالجهمية شبهوا بهذا، قالوا: إن الله هو الأول والآخر، زعموا أن الله هو الأول قبل الخلق، يقول الإمام: صدقوا، هذا صحيح، قالوا: إن الله قبل الخلق، هذا صحيح، لكن الآخر ما صدقوا فيها، قالوا، زعموا أن الله هو الأول قبل الخلق فقد صدقوا.

وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، "يكون الآخر بعد الخلق" أرادوا بها أن الجنة والنار تفنيان، ما يبقى أحد، ويفنى أهلها، وما يكون الآخر إلا هكذا، تفنى الجنة، وتفنى النار، ويفنى كل شيء، ولا أرض ولا جنة ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي، كلها تفنى.

يقول: حتى يكون هو الآخر، ما يكون الآخر إلا إذا فنت هذه الأشياء، إذن أهل الجنة يفنون، والجنة تفنى، والنار تفنى، ولا يبقى أحد، والعرش والكرسي، هذا كذبوا.

يقول الإمام: باب ما تأولته الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ فزعموا أن الله الأول قبل الخلق فقد صدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، فلا تبقى سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار

ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي، وزعموا أن شيئا مع الله لا يكون، هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشرًا كثيرة واضح؟

هذا باطل، من أبطل الباطل؛ لأن هذه الأشياء -الجنة والنار والثواب والعقاب- باقية بإبقاء الله لها، بقاء الله من ذاته، فهو سبحانه وجوده بذاته، أما وجود هذه المخلوقات فلأن الله أوجدها؛ ولأن الله أبقاها، كتب لها البقاء.

أخبر أن الجنة والنار لا تفنيان ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨ ﴾ غير منقطع، ولا يزال الله يجدد لأهل الجنة نعيما بعد نعيم إلى ما لا نهاية، وأهل النار كذلك لا يزال يجدد لهم عذابا بعد عذاب إلى ما لا نهاية -نسأل الله السلامة والعافية-.

والعرش سقف الجنة، وهو عرش الرحمن، كتب الله له البقاء، والكرسي كذلك موضع قدمي الله ﷻ هذه باقية بإبقاء الله لها؛ لأن الله أخبرنا أنها باقية، فالجهمية يقولون: كل هذه الأشياء تفنى، تفنى الجنة وتفنى النار والعرش والكرسي، ولا يبقى أحد إلا الله، حتى يكون هو الآخر كما كان هو الأول، كان هو الآخر لا يكون معه أحد، قال الإمام: فأضلوا بهذا بشرا كثيرا.

الرد على الجهمية في قولهم بفناء الجنة والنار والعرش والكرسي

باب ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ ﴾ فزعموا أن الله هو الأول قبل الخلق فقد صدقوا، وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق فلا تبقى سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي، وزعموا أن شيئا مع الله لا يكون هو الآخر كما كان، فأضلوا بهذا بشرا كثيرا.

وقلنا: أخبر الله عن الجنة ودوام أهلها فيها، فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ ٢١ ﴾.

﴿ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ أهل الجنة، مقيم، مستمر إلى ما لا نهاية. نعم.

فإذا قال جل وجهه: ﴿ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ وقال: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ .

خالدين فيها يعني: ماكثين فيها أبد الآباد، إلى ما لا نهاية. نعم.

وقال: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ .

﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ مستمر، غير منقطع، إلى ما لا نهاية. نعم.

فإذا قال الله: ﴿ دَآئِمٌ ﴾ لا ينقطع أبدا، وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وقال: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ هذا عن أيش؟ عن أهل الجنة في سورة الحجر يقول: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أهل الجنة ما هم منها بمخرجين أبد الآباد. نعم.

وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

﴿ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ الاستقرار إلى ما لا نهاية. نعم.

وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

الحيوان: الحياة الكاملة المستمرة. نعم.

وقال: ﴿ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ .

ماكثين يعني مقيمين أبد الآباد إلى ما لا نهاية. نعم.

وقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

يعني مستمرون إلى ما لا نهاية.

وقال: ﴿ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

نعم ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ بل هي مستمرة أبد الآباد.

ومثله في القرآن كثير .

مثله في القرآن كثير، كل هذه الأدلة تدل على أن الجنة وأهلها باقين إلى ما لا نهاية، فالجنة ما تفنى؛ لأن الله أخبر أنها لا تفنى، فكونها لا تفنى هل وجودها من ذاتها ولَّا من إيجاد الله لها؟ من إيجاد الله لها، ما هو من ذاتها، وجود الله من ذاته، فواجب الوجود بذاته -سبحانه وتعالى-، أما الجنة والنار فهي باقية لإبقاء الله لها. نعم.

وذكر أهل النار وقال..

كذلك أهل النار ذكر الله أنهم مستمرون إلى ما لا نهاية. نعم.

﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ ﴾ .

﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أهل النار ﴿ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ ﴾ أبد الآباد -نعوذ بالله- نعم.

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ الكفار يئسوا من رحمة الله، إذن مستمرين في العذاب، اليئس من رحمة الله مستمر في العذاب إلى ما لا نهاية -نعوذ بالله- نعم.

وقال: ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ﴾ .

كذلك والذي لا يناله الله برحمة يستمر في النار، ولو قيل إن النار تفنى معناه نالهم الله برحمة، ولو فنيت النار صار هذا رحمة لهم، وهم ليسوا من أهل الرحمة ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ لمن؟ ﴿ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ والكفار غير متقين، لم تكتب لهم الرحمة -نعوذ بالله- نعم.

وقال: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

كذلك ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يعني: أبد الآباد. نعم.

وقال: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ .

يعني أهل النار.

وقال: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ .

هذا يعني: تجدد الجلود، تجدد إلى ما لا نهاية، أبد الآباد، جلودهم -نسأل الله العافية-.

وقال: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ .

كذلك ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ أهل النار -نعوذ بالله-.

وقال: ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٌ ۝٨ ﴾ .

يعني مطبقة مغلقة أبد الآباد -نعوذ بالله-

ومثله في القرآن كثير.

إذن هذه النصوص التي ساقها الإمام -رحمه الله- كلها دليل على أن الجنة والنار وأهلهما باقيتان أبد الآباد، إلى ما لا نهاية، لا تفنيان كما يقول الجهم -قبحه الله- نعم.

فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة أو النار.

السماء والأرض ما في، انتهى السماء والأرض، ما في سماء ولا أرض، أهل السماوات والأرض إما في الجنة أو في النار، انتهى، ما في سماء ولا أرض، صحيح، السماء والأرض تزولان لماذا؟ أهل الأرض الآدميين أين ذهبوا؟ إلى الجنة أو النار، وأهل السماء كذلك الملائكة ما في سماء ولا أرض، ما فيه إلا العرش والكرسي والجنة والنار والهواء. نعم.

وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة، والله عليه؛ فلا يهلك ولا يبيد.

نعم العرش لا يبيد ولا يذهب، باق بإبقاء الله له؛ لأنه سقف الجنة، هو سقف الجنة، والله عليه، مستو عليه استواء يليق بجلاله وعظمته؛ فلا يهلك ولا يبيد العرش. نعم.

وأما قوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ .

هذه شبهة شبه بها الجهمية، قالوا: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ قالوا: هذا يشمل العرش ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ يعني: كل شيء هالك إلا الله، فدل على أن العرش والجنة والنار تهلكان، تفنيان.

وذلك أن الله أنزل: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ قالت الملائكة: هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأنزل الله أنه يخبر عن أهل السماوات والأرض أنكم تموتون، فقال: ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحيوان ﴿ هَالِكٌ ﴾ يعني ميت ﴿ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إنه حيي لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت .

هذا جواب على الآية، الآية: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ هذه شبهة للجهمية، قالوا: هذه الآية تدل على فناء الجنة والنار والعرش والكرسي، وكل شيء لا يبقى إلا الله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ بماذا أجاب الإمام عنها؟

قال: هذه الآية نزلت بعد قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ يعني على الأرض، لما أنزل الله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ يعني على الأرض وهم الآدميون قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، إذن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ يعني الأرض ﴿ فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ ونحن في السماء لسنا في الأرض، إذن طمعوا في البقاء.

فأنزل الله يخبر عن أهل السماوات أيضا أنكم تموتون كما يموت الآدميون، فقال ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ كل شيء من الحيوان هالك -يعني ميت- إلا وجهه، إنه حي لا يموت، كل شيء من الحيوان، يعني من الحي والآدميين، أحياء.

وهذا لا يشمل أيش؟ لا يشمل العرش، ولا يشمل الكرسي، كل شيء حي، كل شيء من الحيوان -يعني مما فيه الحياة- هالك -يعني ميت- إلا وجهه؛ فإنه حي لا يموت، فعند ذلك أيقن الملائكة، أيقنوا بالموت، هذا جواب.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ قال: قيل: معنى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إخبار عن فناء الذوات، إخبار بأن الله -سبحانه وتعالى- الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فهو إخبار عن فناء الذوات إلا ذاته ﷻ .

وقيل معنى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إلا ما ابتغي به وجهه، إلا ما أريد به وجهه، أو إلا ما ابتغي به وجهه، لا ينافي القول الأول

القول الأول: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إخبار بأن الله هو الدائم الباقي، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فهو الحي الباقي -سبحانه وتعالى-، هل هناك منافاة بين القولين؟

والثاني: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا ما أريد به وجهه، ليس منافاة بين القولين، لا تنافٍ بين القولين؛ لأن القول الأول إخبار بأن الله هو الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق وهو لا يموت، فهو إخبار عن فناء الذوات إلا ذاته ﷻ إخبار عن فناء الذوات إلا ذاته ﷻ .

والقول الآخر يراد به بطلان العمل إلا العمل المراد به وجهه ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ يعني إلا ما أريد به وجهه، يراد به بطلان العمل إلا العمل الذي يراد به وجهه، وهو ما وافق الشريعة، وكان خالصا لوجهه، كل شيء من العمل باطل إلا ما أريد به وجه الله، والأول كل الذوات فانية إلا ذاته ﷻ لا منافاة ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ كل الذوات فانية إلا ذاته سبحانه، أو كل الأعمال باطلة إلا ما أريد به وجهه.

وقوله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ يعني الموت، ميت، يراد به الموت، ولا يراد به عدم ذواتهم، فإن الأرواح بعد الموت في نعيم أو عذاب، معنى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ فناء الآدميين في الدنيا، هل

فناء ذواتهم؟ لا، المراد الموت، يموتون، وإلا الروح تبقى، روح الإنسان تُنقل بعد موته إما إلى الجنة أو إلى النار، روح المؤمنين في الجنة، ولها صلة بالجسد، وروح الكفار في النار، ولها صلة بالجسد.

الروح ما تموت، باقية إما في عذاب أو في نعيم، لكن الموت مفارقة الروح للجسد، الروح تُنقل أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، والجسم يبلى، ويبقى عجْب الذنب، يخلق الله منه ابن آدم، يعيده الله، الذرات التي استحالت، فإذا كمل خلقهم أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور، فعادت الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة، بعد أن يترل الله مطرًا كمني للرجال، تنبت منه أجساد الناس، وينشئهم الله نشأة قوية.

تبدل الصفات والذرات التي استحالت، يعيدها الله، ويخلق الإنسان من عجب الذنب، وهو العصعص، آخر العمود الفقري، فإذا كمل الجسم، ونبتت أجسام الناس، أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور، فقامت القيامة، وعادت الأرواح إلى أجسادها، تطايرت الأرواح، كل روح تعود إلى جسدها، فإذا الناس وقوف بين يدي الله للحساب. نعم.

مناقشة الجهمية في قولهم إن الله في كل مكان

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه مكان.

هذا مناقشة أيضا، مناقشة للجهمية أيضا في قولهم: إن الله في كل مكان، كم ناقشهم من مرة، ناقشهم مرات، المناقشة الأولى سبق أن قال لهم: هل يغفر الله للمذنبين أو لا؟ إن قلتم: "يغفر الله لهم" تركتم مذهبكم، وإن قلتم: "لا يغفر" كذبتم القرآن، هذا مناقشة لهم في قولهم: "إنه في كل مكان" هنا مناقشة ثانية، قلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان، لا يخلوا منه مكان. نعم.

فقلنا: أخبرونا عن قوله جل ثناؤه: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ لِمَ تجلى للجبل إن كان فيه بزعمكم؟ فلو كان فيه -كما تزعمون- لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، ولكن الله -جل ثناؤه- على العرش وتجلى، و لم يكن فيه، ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك .

هذه مناقشة للجهمية في قولهم: "إن الله في كل مكان"، يقول: كيف تقولون في قول الله تعالى في خطاب موسى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ تجلى الله للجبل، لِمَ تجلى للجبل إن كان فيه؟

أنتم تقولون: إنه في كل مكان، في الجبل، وفي كل مكان. كيف يتجلى لشيء هو فيه؟ لِمَ تجلى للجبل إن كان فيه بزعمكم؟ فلو كان الله -كما تزعمون- في كل مكان لم يكن يتجلى لشيء هو فيه، كيف يتجلى للجبل وهو في الجبل؟ ولكن الله جل ثناؤه على العرش -سبحانه وتعالى-، وتجلى و لم يكن فيه، لم يكن في الجبل، ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك؛ ولذلك تدكدك، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ .

هذه مناقشة للجهمية، الجهمية القائلين: في كل مكان، يقولون: في الجبل، يقول: كيف يتجلى للجبل وهو فيه؟ كيف يتجلى لشيء هو فيه؟ هذا لا يمكن، ولكن الله على العرش وتجلى للجبل، ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه؛ ولذلك تدكدك. نعم.

مناقشة الجهمية في قوله الله نور كله

ورأى الجبل شيئا لم يكن رآه قبل ذلك، وقلنا للجهم: الله نور، فقال: هو نور كله .

هذه مناقشة للجهمية، الجهمية يقولون: الله نور كله، وهو في كل مكان، الله نور كله، وعلم كله، وقدرة كله؛ لأنهم قالوا: لا يوصف بوصفين مختلفين، ما يوصف بوصفين مختلفين، يقول: الله نور كله، الله قدرة كله، الله علم كله، وهو في كل مكان، يقولون: لا يوصف بوصفين مختلفين، فلا يقولون:

نثبت لله النور والعلم والقدرة، لا، هو كله نور، هو كله قدرة، هو كله علم، ما يوصف بوصفين، وصف واحد بس، وصف واحد، هو نور كله، وهو في كل مكان، فالإمام يناقشهم يقول: أنتم تقولون الله نور كله، وهو في كل مكان نعم.

وقلنا للجهم: الله نور، فقال: هو نور كله، فقلنا: فالله قال: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ فقد أخبر الله -جل ثناؤه- أن له نورا، فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان وهو نور، فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه إذ زعمتم أن الله في كل مكان؟ وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله .

إذن هذه مناقشة في قولهم: "الله نور وهو في كل مكان"، يقول: قلنا إن الله تعالى قال: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ فقد أخبر الله -جل ثناؤه- أن له نورا، فقلنا: أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور، فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور الذي هو فيه؟

إذا قلتم: "إن الله في كل مكان وهو نور كله" فلِمَ لا يضيء البيت المظلم من النور فيه إذ زعمتم أن الله في كل مكان؟ وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء؟ أنتم تقولون: "إن الله في كل مكان وهو نور كله"، فلِمَ لا يضيء البيت المظلم؟ وإذا جئنا بالسراج أضاء البيت المظلم، فالسراج يضيء البيت المظلم، والله لا ينير، لا يكون فيه نور، لا ينير البيت المظلم وهو فيه -تعالى الله عمَّا يقولون علوا كبيرا-، فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله؛ لأنهم يقولون: "الله نور كله وهو في كل مكان".

قال لهم: طيب لماذا لا يضيء البيت المظلم إذا كان نورا وهو في كل مكان ؟ وإذا جئنا بالسراج أنار وإذا أبعدنا السراج أظلم؟ لِمَ لا يضيء البيت المظلم؟ وأنتم تقولون الله فيه، وهو في كل مكان، وهو نور كله. ولكن الله -سبحانه وتعالى- فوق العرش، وقد قال سبحانه: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ نعم.